الشيخ محمد حسن آل ياسين

سيرة الأئمة الإثني عشر

الجزء الثالث

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

سيرة الأئمة الإثني عشر (ع)

(٣)

الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله

سيرة الأئمة الإثني عشر (ع)

الجزء الثالث

دار المؤرخ العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

دار المؤرخ العربي

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية نخلة
تلفاكس: ٠١-٥٤١٤٣١ - هاتف: ٠١-٥٤٤٨٠٥ - ص.ب: ١٢٤/٢٤
البريد الإلكتروني al_mouarekh@hotmail.com
www.al-mouarekh.com

الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عقدتُ الفصل الأول من هذه الرسالة على «محمد بن الحسن المهدي بين ولادته وإمامته»، فتحدثت فيه عن تاريخ ولادته ـ يوماً وشهراً وسنة ـ في أرجح الروايات وأصحها، وعن تلك الليلة السعيدة التي ولد فيها هذا المنتظر لإقامة دولة الحق وما فعل الإمام الحسن العسكري (ع) إثر الولادة من إجراء أحكام السنَّة؛ من الأذان في أذني الوليد وذبح العقائق وتوزيع الصدقات على الفقراء.

ثم تحدثت خلال ذلك عما كان يحيط بخبر هذا المولود من سريَّة وكتمان بالغَيْن وعن الأسباب الدافعة على هذا التخفي والجوانب المتعددة التي شملها ذلك الكتمان، وكيف استغل الأعداء والمشككون هذا التستر لإنكار وجود ولدٍ للإمام العسكري. وأوردتُ أسماء المؤرخين الذين نصوا على ولادة الإمام المهدي ـ وفيهم الشيعي والمالكي والشافعي والحنفي والحنبلي ـ والروايات المروية عن الإمام العسكري (ع) بوجود ولده وإراءته إياه لبعض خواص شيعته. وناقشت في أثناء ذلك بعض الشكوك المثارة في هذا الموضوع؛ كالاختلاف في تاريخ الولادة؛ ومسألة وصية الإمام العسكري لوالدته دون ولده، وعدم الاتفاق على اسم أمِّ المهدي؛ وعدم حضور أحدٍ من النساء غير السيدة حكيمة ساعة الولادة؛ وكذلك ادعاء جعفر بن علي الإمامة بعد أخيه الحسن منكراً وجود ولدٍ لأخيه، معتمداً في كل ذلك على أقدم المصادر وأوثق الروايات.

وعقدت الفصل الثاني على «الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع)

بين إمامته وغيبته»، فتحدثت فيه عن الدليل على إمامته في أبرز وجوهه الثلاثة التي ذكرها الباحثون، وكان الوجه الأول منها: النص عليه من جهة أبيه خاصة بالقدر الذي يصح عدُّه من المتواتر معنى ومضموناً، وكذلك النص عليه بالذات من قبل أئمة أهل البيت (ع) السابقين على الإمام العسكري.

ثم كان الوجه الثاني من الأدلة على إمامته: النص النبوي على عدد الأئمة وكونهم اثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون، وتصريح المحدثين بأن ذلك الحديث صحيح ومتواتر وفي أعلى درجات الصحة والتواتر، وإلى الحد الذي ينفي كل محاولة للتشكيك فيه أو نسبته إلى الضعف أو الإبهام.

وكان الوجه الثالث من ذلك الدليل: النص النبوي على اسم المهدي وغيبته، وهو نص متواتر المعنى والمدلول بما لا يصح فيه النقاش أو التردد، وقد أوردتُ فيه الروايات المأثورة عن النبي (ص) في ذلك مما صرَّح فيها بكون المهدي من قريش؛ ومن أولاد عبد المطلب؛ ومن العترة أهل البيت من آل محمد (ص)؛ ومن أولاد علي وفاطمة؛ ومن ذرية الحسين؛ وكونه ثاني عشر الأوصياء والأئمة؛ وابن الحسن العسكري (ع)، مثبتاً عدم صحة بعض الأخبار المنسوبة إلى النبي (ص) مما يخالف ما أسلفناه، سواء منها ما يتعلق باسم أبي المهدي أو الزعم بأنه لا مهدي إلا عيسى بن مريم، مضافاً إلى الرد على بعض الاعتراضات والشبهات المتعلقة بهذا الموضوع. ثم أردفتُ ذلك بإيراد جريدتين ذكرتُ في أولاهما أسماء بعض الصحابة الذين رووا عن النبي (ص) حديثه في المهدي، وفي الثانية أسماء بعض رجال الحديث من غير الشيعة الإمامية الذين نصُّوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرَّحوا بصحتها. وألحقتُ ذلك بسرد أسماء بعض الباحثين من

المحدّثين الذين ألفوا الكتب والرسائل في موضوع المهدي من غير الشيعة أيضاً، وكذلك أسماء بعض الشعراء الذين ذكروا المهدي في شعرهم؛ مترقبين يوم ظهوره ومقرين بحتمية ذلك.

وعقدتُ الفصل الثالث على «غيبة الإمام المهدي (ع) بين المثبتين والمنكرين» فتحدثت فيه عن غيبة الإمام والدليل عليها، مستعرضاً الآراء في إمكان بقاء الإنسان على قيد الحياة طيلة قرون وقرون، وذكرتُ ما يجب أن يقال في مقدمة هذا البحث من أن الإيمان بمسألة الغيبة جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان بالأمور التي ورد النص القطعي عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح بحكم كونهما مصدر التشريع والعقيدة وباب المعرفة عند المسلمين، وأوردتُ في خلال ذلك النصوص النبوية على الغيبة وما يدعم ذلك من الأحاديث المصرحة بضرورة وجود إمام حيٍّ في كل عصر وزمان لئلا يموت الإنسان الجاهل بإمام زمانه ميتة جاهلية. ثم شرحتُ موضوع (الغيبة الصغرى) التي كان يتصل المؤمنون فيها بإمامهم بواسطة وكلائه المعيَّنين المعروفين فيسألون ويستفهمون وكيف كانوا يتلقون الأجوبة على تلك الأسئلة والحلول لتلك المشاكل، مستشهداً على ذلك بفقرات من تلك الجوابات المأثورة فيما تعم به الحاجة وما ينفع الناس.

ثم شرحت موضوع (الغيبة الكبرى) وما قال العلماء في تفسيرها وتحديد المراد منها وبيان دوافعها وأسبابها، موضحاً الموقف من مقولة إمكان بقاء الإنسان حياً طوال هذه السنين، ومبيناً حديث القرآن الكريم ومصادر الدين والتاريخ عن وقوع ذلك مرات ومرات، ثم حديث العلم المعاصر عن إمكان ذلك وعن منطلقات العمل الدؤوب في كل مراكز البحث العلمي في العالم في اتجاه إطالة عمر الإنسان. ثم ختمت الكلام في ذلك بذكر ما تنتظره البشرية اليوم من توقع ظهور مصلح منتظر يقود

ركب الإنسانية إلى النهج السوي ويحمله على الصراط المستقيم، مستشهداً بما بشَّر به الفيلسوف البريطاني (برناردشو) من حاجة الكرة الأرضية إلى هذا المنقذ الذي سماه (السوبرمان) وما ذكره في كتابه «الإنسان والسوبرمان» من مواصفات هذا المنقذ ومزاياه الخاصة.

ثم أردفت الكتاب في آخره، بملحقين: عُني أولهما بالكلام عما يسمى (سرداب الغيبة) وما قال فيه الأولياء والأعداء؛ وعن الصحيح الثابت في هذا الموضوع. وعُني الثاني بتعريفٍ وافٍ بوكلاء الإمام المهدي (ع) في عصر غيبته الصغرى، ليكون القارىء الكريم على علمٍ بجلال مقامهم وسمو منزلتهم.

❀ ❀ ❀

وفي الختام ـ كما في البدء ـ أحمد الله تعالى أجزل الحمد على كريم آلائه وجميل نعمائه، ثم أُضاعف الحمد والشكر له عز وجل في آخر هذه السطور على ما وفقني إليه من إكمال هذه السلسلة بالحديث عن الإمام الثاني عشر المنتظر الموعود؛ خاتم الأوصياء وبقية الحجج؛ الذي نتلهف إلى رؤيته وإشراقة طلعته وحلول يوم ظهوره، ليملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً؛ فترفرف على البشرية راية دولة القرآن وكلمة الحق، وما ذلك على لطفه ومنِّه ببعيد.

والله أسأل ـ من قبل ومن بعد ـ أن يسدِّد الخطا على الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، أنه خير مسدِّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه
بين ولادته وإمامته

في أعماق تلك الليلة البهيجة القمراء؛ ومع قرب إشراقة الخيوط الأولى لفجرها الوضَّاح المتلألىء[1]، لليوم الخامس عشر من شهر شعبان على الأرجح الأصح[2]، ولعله كان يوم الجمعة[3]، من سنة

---

(١) ورد النص على ولادته عند الفجر في إعلام الورى: ٢/ ٢١٥؛ وعلى الولادة ليلاً في الإرشاد: ٣٧٢ وكشف الغمة: ٣/ ٢٤٣ وبحار الأنوار: ٥١/ ٢٨ وينابيع المودة: ٣٨٦.

(٢) ورد النص على الخامس عشر من شعبان في الكافي: ١/ ٥١٤ وكمال الدين: ٢٤٠ والإرشاد: ٣٧٢ وإعلام الورى: ٢/ ٢١٤ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ وكشف الغمة: ٣/ ٢٤٣ والوافي بالوفيات: ٢/ ٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/ ٢ و٤ و٢٨ ومجمع الرجال: ٧/ ١٨٩ وإسعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ٢٠/ ١٠٠ وينابيع المودة: ٣٨٦.

وقيل: ثامن شعبان كما في وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ والوافي بالوفيات: ٢/ ٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٥ و٣٦٠ ومجمع الرجال: ٧/ ١٨٩ وعمدة الزائر: ٣٣٤.

وقيل: في شهر رمضان (بحار الأنوار: ٥١/ ١٦) أو في غرته بالتحديد (عمدة الزائر: ٣٣٤) أو في الثالث والعشرين منه (كشف الغمة: ٣/ ٢٣٤).

وقيل: تاسع ربيع الآخر كما هو مروي في وفيات الأعيان أيضاً والوافي بالوفيات والأئمة الاثنا عشر.

(٣) ورد النص على يوم الجمعة في كمال الدين: ٢٤١ ووفيات الأعيان والأئمة الاثنا عشر وبحار الأنوار ومجمع الرجال وجواهر الكلام وعمدة الزائر.

خمس وخمسين ومائتين على الأشهر[١]، ولد أبو القاسم محمد بن الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)[٢]، فكانت لولادته في نفس أبيه ونفوس من حضره من أهل بيته الأقربين فرحة غامرة لا توصف؛ وسرور بالغ لا يُحدُّ بكلمات.

وروى المسعودي عن «جماعة من الشيوخ العلماء» على حدٍّ وصفه كما روى غيره أيضاً: أن السيدة حكيمة بنت الإمام أبي جعفر محمد الجواد (ع) كانت تشدها إلى إحدى جواري الإمام العسكري ـ واسمها في هذه الرواية نرجس ـ رابطة وُدٍّ وثقى، وكانت نرجس تحبها حباً جماً

(١) الكافي: ١/ ٥١٤ وإثبات الوصية: ٢١٩ وكمال الدين: ٢٤٠ والإرشاد: ٣٧٢ وإعلام الورى: ٢/ ٢١٤ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ وكشف الغمة: ٣/ ٢٤٣ والوافي بالوفيات: ٢/ ٣٣٦ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٠٠ وبحار الأنوار: ٥١/ ٢ و٤ و٢٨ ومجمع الرجال: ٧/ ١٨٩ وإسعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ٢/ ١٠٠ وينابيع المودة: ٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٣٤.
وقيل: سنة ٢٥٤هـ (بحار الأنوار: ٥١/ ١٦).
وقيل: سنة ٢٥٦هـ (الكافي: ١/ ٥١٤ وكمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٤١٩ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٢/ ٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٥ و٢٢ و٣٦٠ و٥٢/ ١٦ ومجمع الرجال: ٧/ ١٨٩ وعمدة الزائر: ٣٣٤).
وقيل: سنة ٢٥٨هـ (وفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٧٩ وكشف الغمة: ٣/ ٢٣٤ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٢/ ٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧).

(٢) ورد النص على الاسم والكنية في جميع المصادر المعنيّة بسير الأئمة وتواريخهم ومنها: الإرشاد: ٣٧٢ والخرائج والجرائح: ٢/ ٩٠٣ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٨٠ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٢٤ ونور الأبصار: ١٥٤ وينابيع المودة: ٣٦٦.

وتتلقاها عند مجيئها إلى بيت ابن أخيها الإمام العسكري بحفاوة ولهفة فتقبِّل كفَّها وتنزع خفَّها بيدها[١]. وإن الإمام قد طلب من عمته وقد قدمت لزيارته في أحد الأيام أن تمكث عندهم لقرب موعد ولادة نرجس، لتتولى من أمرها ما تتولاه النساء من بعضهن حين الولادة. وبعد منتصف الليل من تلك الليلة (العشية) المباركة للنصف من شعبان على الأرجح ـ كما تقدم ـ قامت السيدة حكيمة ونرجس فصلَّتا نافلة الليل، ثم حدث الطلق على أثر ذلك وتمت الولادة عند الفجر[٢]. فأخذت حكيمة الطفل بعد أن لفته في ثوب. وحملته إلى أبي محمد (ع)[٣]، «فتناوله وأخرج لسانه فمسح على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه فحنَّكه[٤]، وأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى[٥]، وعقَّ عنه بكبشين[٦]، وأمر بتوزيع الخبز والطعام على الفقراء[٧].

❀ ❀ ❀

ومما يجب إيضاحه والوقوف ملياً عنده في هذا المقام تتمةً لخبر تلك الولادة: أن أمر هذا الوليد الكريم محمد بن الحسن كان قد أُحيط بالسريَّة والكتمان من جميع وجوهه وسائر جهاته، وكان ذلك كله بدافع

---

(١) إثبات الوصية: ٢١٦.

(٢) الكافي: ١/ ٣٣١ وإثبات الوصية: ٢١٦ ـ ٢١٧ وكمال الدين: ٢٣٦ ـ ٢٣٧ وغيبة الطوسي: ٢٣٤ ـ ٢٣٦ والإرشاد: ٣٧٦ وإعلام الورى: ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥ والخرائج والجرائح: ١/ ٤٥٥ وكشف الغمة: ٣/ ٢٤٧ و٣٠١ وبحار الأنوار: ٢/٥١ و١٢ ـ ١٤ و١٦ ـ ١٩ و٢٥ ـ ٢٦ وينابيع المودة: ٣٨٧.

(٣) إثبات الوصية: ٢١٨.

(٤) إعلام الورى: ٢/ ٢١٦ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٨.

(٥) ينابيع المودة: ٣٨٧.

(٦) إثبات الوصية: ٢١٩.

(٧) كمال الدين: ٢٤٠ وبحار الأنوار: ٥١/ ٥ و٢٢ و٢٨.

الحرص على سلامة هذا الولد والحفاظ عليه من دسائس الأعداء ومكائدهم الشريرة، وقد علل المؤرخون ذلك «لصعوبة الوقت» و«شدة طلب سلطان الوقت له واجتهاده في البحث عن أمره»[١]، مضافاً إلى ما هو معلوم من كون هذا الإمام ـ كما صرحت الأخبار النبوية التي تداول روايتها المسلمون جيلاً بعد جيل ـ هو الذي يقوم بالسيف ليحطم معاقل الجور ويبني دولة الحق ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت شروراً وظلماً[٢].

وترشدنا النصوص التاريخية إلى أن وفاة الإمام العسكري (ع) قد أحدثت في يومها ـ نتيجة لهذه السرية ـ هزةً عنيفة في نفوس كثير من الناس حتى بعض أولئك القائلين بإمامته من غير خواصه والثقات المقربين إليه، لأنهم لما فقدوا إمامهم لم يروا لهذا الفقيد بين ظهرانيهم ولداً يتقبل التعازي ويتصدر المأتم وتتمثل فيه المواصفات الشرعية للإمامة والمؤهلات المطلوبة المسلّمة في الفقه الإسلامي.

وكان غير الشيعة من المسلمين كذلك أيضاً وبطريق أوْلى، فذهب جلُّهم إلى إنكار وجود ولدٍ للإمام العسكري، لأنهم لم يشاهدوه ماثلاً أمامهم يوم وفاة أبيه وفيما تلا ذلك من الأيام.

وكانت السلطة ـ بحكم ما يرويه محدثوها وقضاتها في مجالسهم

---

(١) الإرشاد: ٣٧١ وإعلام الورى: ٢/ ١٥١ والمناقب: ٢/ ٤٥٧ وكشف الغمة: ٣/ ٢١١ والفصول المهمة: ٢٧٢.

(٢) يراجع في الأخبار المأثورة في ذلك عن النبي (ص) والأئمة (ع) وخصوصاً ما ورد فيها من كونه الذي (يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً): سنن أبي داوود: ٢/ ٤٢٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والبيان: ٥٦ و٥٩ والصواعق المحرقة: ٩٧ ـ ٩٩ والحاوي: ٢/ ١٢٤ ـ ١٢٦ و١٣٠ ومصادر أخرى سوف يرد ذكرها في خلال البحث.

الخاصة ـ تعلم على الإجمال أن لهذا الفقيد ولداً وأنه الثاني عشر الثائر القائم بالسيف، ولذلك فهي في بحث دؤوب عنه ولكن مع التظاهر بإنكار وجوده إمعاناً في الحرب النفسية والإعلامية التي تريد بها بلبلة أفكار العامة خلال عملية الفحص عن هذا المتواري عن الأنظار.

وربما زاد في هذه البلبلة أو دعَّمها أن الإمام العسكري الذي أخفى خبر ولده عن غير خواصه المقربين لم يجعله وصياً عنه زيادة في ذلك الإخفاء، وإنما كانت أمه الوصية عن ابنها كما هو معروف.

ثم كان جعفر أخو الإمام العسكري ـ وهو المتهالك على الدنيا وزينتها كما اشتهر بين الناس ـ قد ادعى خلافة أخيه والإمامة من بعده، ومع أن كبار المسؤولين في الدولة يعلمون كذبه في ذلك لكنهم لم يروا بأساً من مجاراته في دعواه لبعض الوقت تكثيفاً لضباب الشكوك، غير أن الشيعة الواعين لم يصدقوه في ذلك بل أعلنوا رفض زعمه وكذب ادعائه بعد أن أحرجوه بالسؤال عن أمور مجهولة التفاصيل فردَّ جعفر عليهم تلك الأسئلة منكراً أن يكون هو وأسلافه ممن يعلمون الغيب، فأثبت بإنكاره هذا جهله بتراث سلفه الذي يضم فيما يضم من كنوز المعرفة ما هو مدوَّن محفوظ عند الأئمة (ع) من الشؤون الغيبية التي سمعها جدهم علي (ع) من لسان رسول الله (ص) الراوي عن الوحي والمحدِّث بالغيب[1] فكتبه في جفرٍ خاص يتداوله أهل البيت (ع) خلفاً عن سلف، مما لم يكن علماً بالغيب بالمعنى المباشر.

وخَلاصة القول إفادة مجموع الشواهد والمأثورات التي سردها

(١) يراجع في إخبار النبي (ص) أصحابه بما هو كائن من الأمور إلى قيام الساعة: صحيح البخاري: ٤/ ١٢٩ وسنن أبي داوود: ٢/ ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ومسند أحمد: ٤/ ٢٥٤ و٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ و٤٠١ والمستدرك على الصحيحين: ١٦١٧ و١٦٢٨.

المؤرخون بأن الكتمان الذي أُحيط به خبر وجود محمد بن الحسن العسكري قد شمل الجوانب الآتية:

١ ـ إخفاء أمر حمل أمِّه به، فلم يعرف ذلك إلا أخص الخواص من أصحاب أبيه.

٢ ـ إخفاء أمر الولادة، فلم تحضرها من النساء غير عمة الإمام العسكري كما تقدم.

وكان إخفاء أمر الحمل والولادة هو السبب في ورود بعض الروايات المخالفة للمشهور في تحديد يوم الولادة وشهرها وسنتها، كما مرَّ ذكرها وبيان مصادرها في أحد الهوامش المتقدمة.

٣ ـ إخفاء اسم أمه صيانة لها من احتمال قبض السلطة عليها في وقتٍ مّا؛ لاستجوابها في أمر ابنها، ولذلك اختلفت الروايات في تحديد اسمها من بين أسماء جواري الإمام[1]، لئلا يعلم على وجه التعيين أم محمد بالذات من بين تلكم الإماء.

٤ ـ يضاف إلى ما سبقت الإشارة إليه من عدم نص الإمام العسكري على ابنه في وصيته، بل لم يشركه مع أمه في ذلك لئلا يكشف أمره للأعداء ويكون ذكره له مشجعاً لهم على ملاحقته ومطاردته.

٥ ـ إخفاء مكان وجود هذا الولد فلم يعلم به سوى أقرب المقربين من

---

(١) المشهور في اسمها أنها نرجس، وقيل: صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل: سوسن، وقيل: خمط، وقيل: ريحانة، وقيل: مريم بنت زيد.
يراجع في ذلك كله: الإرشاد: ٣٧٢ وجمهرة أنساب العرب: ٦١ والفصل: ٤/ ١٨١ ومطالب السؤول: ٢/ ٨٠ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ ووفيات الأعيان: ٣/ ٣١٦ وكشف الغمة: ٣/ ٢٣٤ و٢٤٣ و٢٧٥ والفصول المهمة: ٥١/ ١٢ و١٥ و١٦ و١٧ و٢٢ و٢٤ و٢٨ و٣٦٠ و١٦/٥٢ ومجمع الرجال: ٧/ ١٨٩ ونور الأبصار: ١٥٤ وجواهر الكلام: ٢٠/ ١٠٠ وعمدة الزائر: ٣٣٤ وينابيع المودة: ٣٨٦ وتحفة العالم: ٢/ ٧٤ وعقيدة الشيعة: ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

ثقات الأصحاب، ولم يره إلا الأمناء المخلصون من خاصة الشيعة[١].

وطبيعي أن تثير هذه السِّريَّة المتعددة الجوانب كثيراً من الشكوكِ في نفوس الأبعدين عن دائرة الارتباط الوثيق والعلاقة المباشرة بشؤون الإمامة والأئمة، وهم الذين لم يعلموا بنبأ ولادته كي يقروا بوجوده، وكانت للسلطة ـ كما تقدمت الإشارة ـ يد طولى في تلك الحرب النفسية المستغِلة لكتمان أمر هذا الوليد لنفي ميلاده وتكذيب خبره، وإن بقيت تبحث عنه هنا وهناك حقبة من الزمن حتى أيست من استطاعتها العثور عليه والإمساك به. ثم كان لجعفر بن علي في ادعائه الإمامة بعد أخيه أثر قوي في نفي وجود ابن لأخيه كي يحوز النار لرغيفه، فزاد نفيه في البلبلة وترداد الشائعات بموت الإمام العسكري (ع) من دون عقب.

وهكذا بدأت تتسرَّب الرِّيَب وتقوى ليستغلها منذ ذلك اليوم بعض الكتّاب والمؤرخين ـ ومنهم السطحيون ومنهم المعادون لأهل البيت ـ، فكان فيهم المؤكِّد للنفي، بل كان فيهم المتهكم بمن يعتقد بإمامة مَنْ لم يوجد ولم يولد ولم ير النور.

ولكيلا نسوِّد كثيراً من الصفحات بسرد ما حرره أولئك المنكرون على مرِّ القرون، نجمل ذلك كله بالإشارة إلى الكتب التي أفرزتها المطابع في السنين الأخيرة وقد جمعت الأقاويل السابقة والشبهات اللاحقة، وهي كتب توحي وحدة مضمونها ومنطلقاتها بأن هناك من خلفها (فئةِ) أو (فئات) ـ قد تكون متعاونة ومنظَّمة وربما لا تكون ـ تعمل بدأب وجدٍّ وفي إطار مخططٍ يكاد يكون كالمتفق عليه في التشكيك بالمهدي المنتظر ومحاولة نفي وجوده من الأصل بمختلف أساليب النفي والتشكيك.

---

(١) إعلام الورى: ٢/ ١٥ والمناقب: ٤٥٧.

ويستفاد مما قرأنا من كتابات هذه الزمرة أن عدداً من أفرادها قد غلَّفوا أنفسهم بأسماء رمزية غير معروفة؛ ليدعوا أنهم كانوا في يوم من الأيام من شيعة أهل البيت المؤمنين بالأئمة الاثني عشر ثم انقلبوا على الأعقاب بعد وضوح الأمر لديهم حسب زعمهم، وبرز من بينهم مَنْ رمز لنفسه باسم (أحمد الكاتب) ومن اختار اسم (حسين الموسوي) ومن أطلق على نفسه اسم (ناصر الدين شاه) وإلى آخر تلك الأسماء الملفقة الموهومة. ثم أطلَّ علينا من بينهم أخيراً باحث يصلح أن يُعَدَّ المنظِّر أو القائد لهذه المجموعة، وقد طرح نفسه في الساحة باسمه الصريح وعنوانه الواضح وهو (الدكتور عداب محمود الحمش)، فسار في الطريق نفسه وكرَّر شكوك أولئك الكتَّاب ودعاواهم ولكن بأسلوب حاول أن يكون أكثر فرقعةً وضجيجاً، فحمل حملة شعواء على مجموع المأثور من الحديث النبوي عامةً وما يتربط منه بموضوع المهدي خاصة؛ مما أوردته كتب الحديث الشهيرة التي ترجع إليها طوائف المسلمين من السنة والشيعة، ولم يستثن من كل ذلك إلا الصحيحن ـ كالعادة ـ من دون ذكرٍ لما يمكن أن يُرَدَّ ويرفض من الأحاديث الواردة فيهما، بل مرتضياً ومصححاً لكل ما رواه الشيخان، حتى لو كان الرواة أمثال سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان.

ثم كان آخر المطاف ذلك الاستطلاع الصحفي الذي طلعت علينا به جريدة «الملتقى الدولي» المصرية وهو يحمل عنوان (قنبلة فجرتها أجهزة الاستخبارات الغربية/ حكاية إذاعة بيان المهدي المنتظر عبر الفضائيات)[1]، وقد أورد محرر الاستطلاع في بدئه خلاصةً للتحليلات

(١) جريدة الملتقى الدولي/ العدد ذو الرقم (٤٨٠) السنة التاسعة/ الصادر في يوم الخميس ٢١ نوفمبر ٢٠٠٢م.

والنتائج التي توصَّل إليها الكاتب الصحفي محمد عيسى داوود في كتابه «المهدي المنتظر على الأبواب» إذ قال فيه عن المهدي ما لفظه:

«إنه هدية الله عز وجل لتحقيق وعده للمؤمنين الصادقين بالنصر المؤكد والتمكين في الأرض، وظهور دين سيد الخلق والأكوان والكائنات سيدنا محمد (ص) على الدين كله ولو كره المشركون... ولو كره الحاقدون... مصداقاً للحديث الشريف المتفق عليه عند سائر المسلمين من أهل السنة والشيعة: (لا تنقضي الدنيا حتى يقيِّض الله للأرض رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)... أن المهدي يمثِّل السمو في الدين والفكر والسلوك... و«ليس هو عيسى (ع) على الإطلاق... حقاً سيتعاصران لكنهما شخصان مختلفان، وحديث (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) حديثٌ فيه نظر».

ثم استطرد كاتب الاستطلاع بعد هذا التمهيد قائلاً:

«حدث في شهر يناير سنة ١٩٩٢م أن كرَّ بعض أعداء الإسلام على (المهدي المنتظر) فكرةً وقضيةً وكلمةَ حقٍّ بحرب شعواء محسوبة المبادىء والنهايات، حافلة بالمغالطات... وألَّبوا الكتّاب والمفكرين في أمريكا وأوروبا بل والعرب؛ على هدم هذه الفكرة واقتلاعها من جذورها، ونشروا فعلاً مئات المقالات والأبحاث التي شكَّكت وتشكك حتى الآن المسلمين بأوروبا وأمريكا والمسلمين بكل مكان وتُسْقِط في أذهانهم أن حرب اليهود والمسلمين هي دائماً حرب خاسرة للمسلمين، ولا مهرب أمامهم من السلام الاستسلامي».

وقال الأستاذ محمد عيسى في خلال كتابه المذكور: إن المفكر الأمريكي اليهودي الأصل (L.S. HANS ILYA) كان قد أثار قضية المهدي «وصرح بأن المهدي المنتظر هو (وهم) لا بد منه للمسلمين،

لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا دون أوهام النصر على اليهود واسترداد بيت المقدس. حتى إننا كمفكرين نلاحظ أنه كلما أذلَّ اليهودُ المسلمين تفجرت قضية المهدي وكانت الشماعة التي يعلِّق عليها المسلمون آمالهم، وكلما دان أودنا لليهود أمرٌ وجدتَ المسلمين يقولون إنها مقدمة للمهدي، ولم ير أحدٌ من هو المهدي الذي حلموا به ولا يزالون».

«أما الكاتب الإنجليزي (AOZOAL D.K.L) فقد قال: إن المهدي كذبة كبرى لا يريد المسلمون أن يفيقوا منها، وإن كل المسلمين لا يريدون شيئاً من هذه الحياة سوى ظهور مسلم واحد يبيد اليهود كلهم ولا يُبْقي منهم أثراً. ومَلِكُ المسلمين المنتظر هو هذا المسلم فلماذا لا يعتقد المسلمون فيه».

«وقد كتب المفكر الألماني (G.H. FANMLRNNDG) ما خلاصته: أن رأس الفكر الإسلامي المعاصر يرتكز على أن مهدي آخر الزمان سيملك الدنيا وينتصر على اليهود، ويعيد القدس للمسلمين، وهو رجل له أمارات وكلها ظهرت، ومع هذا فالمهدي لم يظهر مع تحقق كل علاماته التي يتوهمونها، وهذا دليل على أن المهدي مجرد (وهم) لا أساس له من الصحة، إلا أن كرامة المسلمين المهانة حافزٌ يردد هذه الفكرة ليعوِّض النقص والعجز والانقسام الذي يحكم كل المسلمين في عالمٍ لا بقاء فيه إلا للقويّ».

«ولكن هذا الكاتب الألماني كان أكثر الكتَّاب أدباً وحنكة عندما ختم بحثه بهذه الكلمات: إن المهدي فكر، والفكر كثيراً مّا يكوِّن إرادة، والإرادة إذا قوَّت كثيراً مّا تحقق المعجزات، فهل يملك المسلمون الإرادة القوية في يوم قريب ويخرج منهم المهدي كفاتح، وحلمهم

يتحقق ولو في أي شخص بحيث يرونه مهدي آخر الزمان. هذا ما ستجيب عنه الأيام والسنوات العشر القادمة».

ثم يختم الباحث محمد عيسى داوود كتابه معلِّقاً على تلك الأفكار والتكهنات فيقول:

«ونحن المسلمين نرى أن هذا الصراع والتسابق في هدم فكرة المهدي ـ كأنهم إلى نصبٍ يوفضون ـ هو صدى لصحوة المسلمين وكرٌّ على (فكرةٍ) هي و(الحقيقة) شيء واحد».

«ونحن لا نكره أن يناقشوا أي فكرة إسلامية... ولكننا نبغض أن يتستر (الحقد) تحت عباءة (النقاش) وأن يلبس (اللسان البذيء) ثوب (اللسان الناطق بالعلم والحكمة) وأن ينكروا ما لا يعرفون أسراره الحقيقية».

❀ ❀ ❀

ولا أريد التعقيب هنا على هذا الاستغلال اليهودي الدنيء للموضوع ومهاجمة كتّابهم ومأجوريهم لمجموع المؤمنين بالمهدي والمنتظرين لظهوره، لأن كذب اليهود ودسَّهم وتزويرهم للحقائق ـ من يوم ادعائهم صلب المسيح (ع) إلى يوم اختلاق أسطورة محرقتهم النازية المزعومة في العصر الأخير ـ أشهر من أن يذكر؛ وأبين من أن يقام عليه برهان.

ولكني أُضيف حملتهم على الإمام المنتظر إلى قائمة الحملات المتعاقبة على المهدي والمهدوية على مرِّ القرون، إن لم يكن بعضها من صنع أيديهم من حيث لا نعلم وقد تردَّتْ لبوس من يدعي الانتماء إلى جمهور المسلمين.

كما أني لستُ في هذا المقام بصدد مناقشة التفاصيل والمنطلقات التي وردت في كتاب الدكتور عداب وكتب جماعته المشار إليهم ومن كان على شاكلتهم، فإن لذلك مجالاً غير هذا المجال، ولكنني أقف من جميع أقوالهم على خصوص ما يتعلق ببحثنا هذا المعنيِّ بمحمد بن الحسن العسكري (ع)؛ أو على لباب ما يخص هذا البحث، بعيداً عن الجلبة الإعلامية التي أُريد بها الخداع والإبهام والإيهام، حيث ظن أفراد هذه الفئة ـ المكشوف منهم والمرموز له ـ إنهم قد أتقنوا التخطيط لهجومهم وهيأوا له السلاح الكفيل بالقضاء على خصومهم، غافلين عن كونه سلاحاً قديماً شهره قبلهم أسلافهم مؤسسو مدرسة ابن تيمية وأضرابه والمتخرجون عليهم وعليها عبر العصور، ولم يكن لهم اليوم من جهد مضاف إليه سوى إعادة الصقل واللمعان، بأمل أن يصطادوا به بعض المغفلين والسذَّج ممن لم يقفوا على البينات ولم يعوا الحقائق.

وكانت خلاصة ما زعموه في هذا الموضوع ـ كما جاء على لسان أحد الناطقين عنهم وبلفظ (الكاتب) لأفكارهم ـ: أن مسألة القول بكون محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر الذي يغيب، قد جمعت عدة فرضيات:

الأولى ـ وجود الولد.

الثانية ـ أنه الإمام بعد أبيه.

الثالثة ـ أنه المهدي المنتظر.

الرابعة ـ أنه الغائب.

ثم قال: «إن كل واحدة من هذه الفرضيات بحاجة إلى إثبات، وخاصة الفرضية الأولى التي تبتني عليها سائر الفرضيات»، «لأن من المعروف أن دعوى ولادة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري

تأتي بأدلة عقلية ونقلية وتاريخية، فلا بد إذن من مراجعتها والتحقق منها»[١]، على الرغم من زعمه بـ«أن القول بوجود ولدٍ للإمام العسكري في السر هو قول باطني سرِّيّ» وأن للغلاة الباطنيين دوراً في صنع الفرضية المهدوية[٢].

أما الدكتور عداب فقد كرر ما يشبه ذلك فقال: «لو تحقق عندنا ولادة المهدي فعلاً لكان لهذه التخيلات موضع للنظر فيها»[٣]، وقال في موضع آخر من كتابه: «وقد نصَّت كتبنا المعتبرة!! على أن الحسن العسكري ـ الإمام الحادي عشر ـ توفي ولم يكن له ولد»[٤]، ثم أعاد تكرار ذلك في موضع ثالث فقال: «إذا ثبتت ولادته تاريخياً فيمكن ساعتئذ مناقشة القضايا التي ترتبت عليها»[٥]، ثم زاد في ادعاءاته وتخرصاته فقال: «فرضية ولادة ووجود الإمام محمد بن الحسن العسكري التي لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم»[٦].

وزاد (كاتب) هذه الزمرة وهو يستدل على «عدم معرفة أي أحد بمولد ابن للحسن العسكري في حياته» بـ«إقبال عامة الشيعة على تعزية أخيه جعفر بن علي وتهنئته!!» وبوصية العسكري باتفاق جميع الشيعة إلى أمه ولم يوص إلى أحد غيرها، «وإذا كان له ولد حتى في الرحم لكان أوصى إليه، وهذا ما لم يحدث». ثم حاول هذا المتستر باسمه المستعار أن يقيم البرهان على مجمل دعاويه هذه فقال: «إن الأدلة التاريخية

(١) متاهات في مدينة الضباب: ١/ ٧٣.
(٢) المصدرن نفسه: ٢/ ٧٥ و٨٢.
(٣) المهدي المنتظر: ١٤٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٩٦.
(٥) المهدي المنتظر: ٤١٣.
(٦) المصدر نفسه: ٤٢٣.

الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود ولد للإمام العسكري، فهو لم يعلن ذلك الأمر ولم يشر إلى وجود ولدٍ له في وصيته... وقد انطلق القائلون بنظرية وجود الولد من قصة الجارية نرجس... واختلف المؤرخون الشيعة حول هوية أمه؛ ولم يقل جميعهم أن نرجس هي أمُّ المهدي وترددوا بينها وبين سوسن وخمط و... و...، وقد اختلفوا حول تاريخ ولادته المفترضة في اليوم والشهر والسنة مما يؤكد قيام رواياتهم على التخرص والتخمين... وكانت كل تلك الروايات رغم ضعفها الشديد الذي يسقطها عن الحجية ويجعلها شبيهة بالإشاعات تنتهي إلى امرأة واحدة هي حكيمة، مما يجعل الرواية خبراً واحداً لا يمكن الاحتجاج به».

والمستفاد من مجموع هذا النفخ في أبواق التشكيك والضرب على طبول التضليل: إجماع هذا الفريق على أن البحث في أساسه معتمد على ما سموه «الفرضية الأولى» التي «تبتني عليها سائر الفرضيات!!» وهي مسألة تحقق ولادة محمد بن الحسن المهدي، زاعمين أن الكتب التي وصفوها بالمعتبرة قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد؛ وأن الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود هذا الولد، لأن:

١ ـ الإمام العسكري (ع) لم يعلن أمر هذا الولد كما يقولون.

٢ ـ وأن أي أحد لم يكن يعرف بمولد هذا الابن في حياة أبيه.

٣ ـ وأن الاختلاف في تاريخ ولادته المفترضة في اليوم والشهر والسنة يؤكد قيام ذلك على التخرص والتخمين.

٤ ـ وأن الحسن العسكري قد عهد بوصيته إلى أمه ولم يوص إلى أحد غيرها، وإذا كان له ولد لأوصى إليه.

٥ ـ وأن اختلاف المؤرخين في اسم أم المهدي دليل على النفي والعدم.

٦ ـ وأن حضور حكيمة دون غيرها من النساء ساعة الولادة يجعل الخبر من أخبار الآحاد التي لا يمكن الاحتجاج بها.

٧ ـ وأن إقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بوفاة أخيه دال على عدم وجود الولد.

❀ ❀ ❀

هذه ـ باختصار ـ خلاصة أمينة لأهم ما جاء به أفراد تلك الزمرة أو الزمر المتجاوب بعضها مع بعض؛ فيما أودعوا في مدوناتهم ومؤلفاتهم من الأقاويل التي سبق لـ«سلفهم» أن أبدع بعضها ثم أضافوا إليها بعضاً آخر من ابتكارهم وإبداعهم. ولا بد لنا ونحن بصدد تبيان الحقيقة وتمزيق حجب التعمية والضباب أن نقف باختصار أيضاً وقفة الفحص والتدقيق على كل فقرة من تلك الفقر التي أراد المشككون التعكز عليها لتمرير أفكارهم القائمة في أحسن المحتملات على الجهل بالواقع وسطحية النظر والتفكير؛ إن لم تكن منبعثة من عوامل المغالطة والدس والتشهير.

ولما كانت «الفرضية الأولى» لدى هؤلاء جميعاً هي مسألة «ولادة» هذا الإنسان و«وجوده» على الأرض، فإننا نبدأ عملية الشرح والإيضاح بذكر أسماء المحدثين والمؤرخين والنسَّابين الذين وقفتُ على ذكرهم للولادة في مصنفاتهم المطبوعة التي تسنى لي الاطلاع عليها، لنرى مقدار الصدق والموضوعية والصحة فيما ذكر «دعاة الشك» من أن الكتب المعتبرة قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، ولنرى أيضاً كيف سيتخبطون فيما تبجحوا به من أن ولادته إذا ثبتت

تاريخياً كان من الممكن ساعتئذٍ مناقشة القضايا التي ترتبت عليها ـ على مقتضى مقولات الدكتور عداب ـ وفيما ادعوه من أن الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود ولدٍ للإمام العسكري (ع).

وأُورد فيما يأتي أسماء أولئك المؤلفين الذين وقفتُ على تصريحاتهم بولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده، مُرتَّبة على تسلسل تواريخ وفياتهم، مع الاعتراف بأن هذا العرض للأسماء قائم على التمثيل والاستشهاد لعدم القدرة على الحصر والاستيعاب:

١ ـ محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، في كتابه (الكافي): ١/ ٥١٤.

٢ ـ علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٣٣ وقيل ٣٤٥هـ، في كتابيه (إثبات الوصية): ٢٢٩ و(مروج الذهب): ٤/ ١٣٨.

٣ ـ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، في كتابه (الإرشاد): ٣٧٢.

٤ ـ الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، في كتابه (إعلام الورى): ٢/ ١٥١.

٥ ـ محمد بن علي بن شهرآشوب السروي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، في كتابه (المناقب): ٢/ ٤٥٧.

٦ ـ محمد بن طلحة العدوي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢هـ، في كتابه (مطالب السؤول): ٢/ ٧٩.

٧ ـ يوسف بن قزغلي الشهير بسبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ، في كتابه (تذكرة الخواص): ٣٧٧.

٨ ـ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، في كتابيه (البيان): ١٠٢ ـ ١١٢ و(كفاية الطالب): ٣١٢.

٩ ـ قاضي القضاة ابن خلكان أحمد بن محمد الشافعي، المتوفى سنة ٦٨١هـ، في كتابه (وفيات الأعيان): ٣/ ٣١٦.

١٠ ـ علي بن عيسى الأربلي، المتوفى سنة ٦٩٣هـ، في كتابه (كشف الغمة): ٣/ ١٩٧.

١١ ـ أبو الفدا إسماعيل بن علي الشافعي الحموي، المتوفى سنة ٧٣٢هـ، في كتابه (تاريخ أبي الفدا): ٤٥٢.

١٢ ـ الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ، في كتابه (تاريخ الإسلام): الجزء الذي فيه حوادث ٢٥١ ـ ٢٦٠هـ.

١٣ ـ الصفدي خليل بن أيبك الشافعي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، في كتابه (الوافي بالوفيات): ٢/ ٣٣٦.

١٤ ـ أحمد بن علي الحسني الداوودي النسَّابة، المتوفى سنة ٨٢٨هـ، في كتابه (عمدة الطالب): ١٨٨.

١٥ ـ ابن الصباغ علي بن محمد المكي المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه (الفصول المهمة): ٢٧٤.

١٦ ـ ابن طولون محمد بن علي الحنفي الدمشقي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ، في كتابه (الأئمة الاثنا عشر): ١١٧ ـ ١١٨.

١٧ ـ ابن حجر أحمد بن محمد الشافعي الهيتمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ، في كتابه (الصواعق المحرقة): ١٠٠ و١٢٤.

١٨ ـ الحسين بن عبد الله السمرقندي، المتوفى حوالي سنة ١٠٤٣هـ، في كتابه (تحفة الطالب) المنشور في مجلة تراثنا: ٣٥٧ ـ ٣٥٨،

العددان ٣ و٤ من السنة ١٦ (وهو مطبوع بشكل مستقل عن ناشر هذه الموسوعة).

١٩ ـ الشيخ محمد الصبان المصري، الشافعي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، في كتابه (إسعاف الراغبين): ١٤٠.

٢٠ ـ مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، المتوفى بعد سنة ١٢٩٠هـ، في كتابه (نور الأبصار): ١٥٤.

٢١ ـ سليمان القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤هـ، في كتابه (ينابيع المودة): ٣٦٦ و٣٨٦ و٤٥٠ ـ ٤٥٢.

٢٢ ـ محمد أمين السويدي البغدادي، المتوفى بعد سنة ١٣٣٩هـ، في كتابه (سبائك الذهب): ٧٨.

مضافاً إلى من ترجم للإمام الحسن العسكري (ع) ونصَّ على أنه «والد المنتظر محمد» ومنهم:

٢٣ ـ ياقوت الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، في كتابه (معجم البلدان): ٦/ ١٧٥.

٢٤ ـ علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، في كتابه (الكامل في التاريخ): ٥/ ٣٧٣.

٢٥ ـ حسين بن محمد المالكي الدياربكري، المتوفى سنة ٩٨٢هـ، في كتابه (تاريخ الخميس): ٢/ ٣٤٣.

٢٦ ـ عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، في كتابه (شذرات الذهب): ٢/ ١٤١.

هؤلاء هم الذين وقفتُ على كلماتهم فيما يحضرني من مؤلفات السلف من الفقهاء والمحدثين والنسابين والمؤرخين ـ وفيهم الشيعي

والشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي ـ، وقد نصوا جميعاً على ولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده، وذكر أحد الباحثين المعاصرين أنه وقف على تصريحات مائة وثمانية وعشرين عالماً من علماء أهل السنة المُسلِّمين بولادة محمد بن الحسن المهدي[1]. وما أدري كيف صارت هذه الأقوال والروايات جميعاً صفراً على الشمال وبحكم العدم في نظر أدعياء التحقيق والتدقيق؟!!.

وما دام هؤلاء الأعلام الذين ذكرناهم قد أجمعوا على الإقرار بهذه الحقيقة الصارخة المدويّة فلا يهمنا بعد ذلك وجود من يريد سلوك طريق العناد والمجادلة بغير الحق.

❀ ❀ ❀

ثم نعود إلى ما زعمه الزاعمون من أن الإمام العسكري (ع) لم يعلن أمر هذا الولد، وأن أي أحد لم يكن يعلم مولد هذا الابن في حياة أبيه، فنجد أن ذلك زعم مفضوح البطلان، لما ورد من الروايات عن أصحاب الإمام العسكري، وقد تحدث بعضها عن ولادته؛ وبعضٌ عن إخبار أبيه بمولده؛ وبعضٌ آخر عن رؤية قوم له وهو طفل صغير في حياة أبيه، مما ينفي ادعاء الدكتور عداب من أن فرضية ولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري ووجوده لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم.

وجاء في الرواية عن أحمد بن إسحاق وسعد الأشعري إذ قال كلٌّ منهما: «دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده. فقال لي: يا أحمد بن إسحاق؛ أن الله

(١) مجلة تراثنا الصادرة في بيروت/ العدد ٤٣ ـ ٤٤/ السنة ١١/ ص ٧٤.

تبارك وتعالى لم يُخْلِ الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجةٍ لله على خلقه... فقلت له: يا ابن رسول الله؛ فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه الفجر ليلة البدر؛ من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق؛ لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا، أنه سميُّ رسول الله (ص) وكنيُّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[١].

وحدَّث الراوندي عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال: «وجَّه قوم من المفوضة كاملَ بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد (ع) قال: فدخلتُ عليه... وجلستُ إلى باب عليه ستر مرخى، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتىً كأنه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، يعني به محمد بن الحسن»[٢].

وروى الحافظ القندوزي الحنفي: أن الإمام العسكري «أرى ولده القائم المهدي لخواص مواليه»، وأنه «عرضه على أصحابه» في اليوم الثالث من ولادته وعلى «مَنْ كان في منزله وكانوا أربعين رجلاً» منهم معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري[٣]، وكان هؤلاء الأصحاب قد دخلوا عليه للتهنئة بولده بعد ولادته[٤].

وجاء في خبر أحمد بن الحسن بن أحمد القمي قال: لما وُلِد الخلف الصالح ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي (ع) على جدي

(١) كمال الدين: ٢١٦ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٣.
(٢) غيبة الطوسي: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ والخرائج والجرائح: ١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩.
(٣) كمال الدين: ٢٤١ و٢٤٢ وبحار الأنوار: ٢٦/٥٢ وينابيع المودة: ٤٦٠.
(٤) غيبة الطوسي: ٢٣٠ وبحار الأنوار: ١٦/٥١ و١٧.

أحمد بن إسحاق كتابٌ «وإذا فيه مكتوب بخط يده (ع) الذي كان ترد به التوقيعات منه عليه: وُلِد لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإنَّا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته؛ والوَليّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرَّك الله به مثل ما سرَّنا به. والسلام»[١].

وورد فيما حدَّث به أحمد بن إبراهيم قال: «دخلتُ على خديجة بنت محمد بن علي الرِّضا (ع) أخت أبي الحسن صاحب العسكر (ع) في سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة، فكلمتها من وراء حجاب، وسألتُها عن دينها، فسمَّتْ لي مَنْ تأتّم بهم ثم قالت: والخلف الزكي ابن الحسن بن علي أخي. فقلتُ لها: جعلني الله فداك؛ معاينةً أو خبراً؟، فقالت: خبراً عن ابن أخي أبي محمد (ع) كتب به إلى أمِّه»[٢]. إلى آخر ما حملته الروايات بهذا الشأن كما يأتي بيانه في الفصل الآتي.

ويضاف إلى ذلك كله ما تحدثت به عدة روايات عمن رآه من خواص أبيه وهو طفل صغير[٣]، أو رآه على عاتق أبيه وهو في الثالثة من العمر[٤]، أو نصَّتْ على رؤية بعضهم له بعد وفاة أبيه[٥] وفي بعضها التصريح من الراوي بأنه رآه «وهو غلام أيفع» وأنه قبَّل يديه ورأسه[٦].

❀ ❀ ❀

(١) كمال الدين: ٢٤٢ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٦.

(٢) إثبات الوصية: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٣) الكافي: ١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢ و٥١٤ ـ ٥١٥ وإثبات الوصية: ٢٢٠ وغيبة الطوسي: ٢٦٩ وإعلام الورى: ٢/ ٢٤٨ و٢٥٢ والخرائج والجرائح: ٢/ ٩٥٧ ـ ٩٥٨ و٣/ ١١١١ ـ ١١١٢ وكشف الغمة: ٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٤) بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٤.

(٥) كشف الغمة: ٣/ ٣٤١ وبحار الأنوار: ٥٢/ ١٤ و٢٥ ـ ٢٦.

(٦) غيبة الطوسي: ٢٦٨ وينابيع المودة: ٤٦١.

أما ما ذكرته هذه الفئة ـ ومنهم (كاتبهم) المشار إليه ـ من أن الاختلاف في تحديد تاريخ ولادة محمد بن الحسن المهدي في اليوم والشهر والسنة دليل على قيام روايات وجوده على التخرص والتخمين؛ فهو برهان قاطع على جهلهم الفاضح وعدم اطلاعهم على كتب الأخبار ومصادر التاريخ، لأن اختلاف الروايات في تواريخ الولادات والوفيات بارز للعيان في كثير من سير الأشخاص وشؤون الأحداث.

وحسبنا من كل تلك الشواهد في مقام إثبات جهل هؤلاء اللابسين كذباً لبوس البحث والتحقيق ما نجده في كتب السيرة والحديث والتاريخ من الاختلاف في تعيين يوم ولادة النبي (ص) والشهر الذي وُلِد فيه[١]، والاختلاف في تعيين يوم بعثته وشهرها أيضاً[٢]، ثم اختلافهم في تعيين يوم وفاته وشهرها[٣] مع أنَّها من أهم حوادث التاريخ التي هزت المجتمع هزاً عنيفاً وإلى أبعد الحدود.

---

(١) ولد في الثاني من ربيع الأول أو الثامن أو العاشر أو الثاني عشر أو السابع عشر أو لثمان بقين منه، أو في شهر رمضان.

يراجع: (سيرة ابن هشام: ١/ ١٦٧ وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٤ وطبقات ابن سعد: ١/ ق١/ ٦٢ وأنساب الأشراف: ١/ ٩٢ وتاريخ الطبري: ٢/ ١٥٦ والكافي: ١/ ٤٣٩ والاستيعاب: ١/ ١٣ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٢ والمناقب: ١/ ١١٨ والبداية والنهاية: ٢/ ٢٦٠).

(٢) بُعِث لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، أو لسبع وعشرين من رجب، أو لثمان من ربيع الأول، أو غير ذلك.

يراجع في هذه الأقوال: (سيرة ابن هشام: ١/ ٢٤٩ وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥ وتاريخ الطبري: ٢/ ٢٩٤ والاستيعاب: ١/ ١٣ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٢ والمناقب: ١/ ١١٩ ونهاية الأرب: ١٦/ ١٦٩).

(٣) توفي لليلتين بقيتا من صفر، أو في أول يوم من شهر ربيع الأول، أو لليلتين خلتا منه، أو لعشر خلون منه، أو لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

يراجع في ذلك: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٩٣ وطبقات ابن سعد: ٢/ ق٢/ ٥٧ و٥٨ =

فهل يرى هؤلاء الكتَّاب من باحثي آخر الزمان في هذا الخلاف في تحديد تلك التواريخ المتعلقة بسيد خلق الله وخاتم أنبيائه دليلاً على أن الأمر كله كان قائماً على التخرص والتخمين؟!!

❀ ❀ ❀

وأما وصية الإمام العسكري (ع) إلى أُمِّه فلم تكن لدى العارفين بملابسات الظروف المحيطة بذلك دليلاً على عدم وجود الولد كما تقوَّل المتقولون. ونكتفي في الجواب على هذا الوهم بما ذكره الشيخ الطوسي بياناً لحقيقة الأمر إذ قال:

«إن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن علي ولدٌ مع إسناده وصيته في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته المسماة بحديث والمكناة بأمِّ الحسن؛ فوقوفه وصدقاته... ولو كان له ولد ذكرٌ لذكره في وصيته؟».

«قيل: إنما فعل ذلك قصداً إلى تمام ما كان غرضه في إخفاء ولادته وستر حاله عن سلطان الوقت... وهو احتاج إلى الإشهاد عليها وجوه الدولة وأسباب السلطان وشهود القضاة، ليتحرس بذلك وقوفه ويتحفظ صدقاته؛ ويتم به الستر على ولده بإهمال ذكره».

«وقد فعل نظير ذلك الصادقُ جعفر بن محمد (ع) حين أسند وصيته إلى خمسة نفرْ أولهم المنصور إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسى (ع) بها إبقاء عليه، وأشرك معه الربيع (الوزير) وقاضي الوقت وجاريته أم ولده حميدة؛ وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر (ع) لستر أمره وحراسة نفسه... ولو لم يكن موسى ظاهراً مشهوراً في أولاده لما

= وتاريخ الطبري: ٣/ ٢٠٠ ودلائل النبوة: ٧/ ٢٠١ و٢٣٤ و٢٣٥ والاستيعاب: ١/ ١٣ و٢٠ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٢ والمناقب: ١/ ١٢٢ وشرح نهج البلاغة: ١٣/ ٣٥ والبداية والنهاية: ٥/ ٢٥٥ و٢٥٦.

ذكره في وصيته... كما فعل الحسن بن علي والد صاحب الزمان»[١].

وأما اختلاف المؤرخين في اسم أمه فيرجع السبب فيه إلى الحرص على كتمان اسمها من بين جواري الإمام ـ كما سلفت الإشارة إليه في صدر هذا الفصل ـ، لئلا تقع تحت طائلة المطاردة أو الاعتقال إنْ عُرِف شخصها بالذات، أو تُوجَّه نحوها الضغوط المرعبة للتعرف منها على أخبار ابنها وأخذ المعلومات عن مكان اختفائه. وليس في ذلك الاختلاف بعد وضوح سببه أي دليل على نفي وجودها أو وجود ولد لها كما يشيع المغرضون.

وروى بعض المؤرخين أن هذا الاختلاف في اسم الأم كان مدعاة لأن يوكِّل «السلطان في الوقت الذي توفي فيه الحسن بن علي العسكري (ع) بداره وجواريه مَنْ يتفقد حملهن لكي يظفر بولده وبقيته»[٢]، ولذلك بعد يأس السلطة من العثور على ولد موجود للإمام بعد كبس الدار والبحث عنه فيها[٣].

وجاء في رواية الكليني: أن السلطان بعث إلى داره «مَنْ فتَّشها وفتش حجرها... وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل، فجُعِلت في حجرة ووُكِّل بها نحريد الخادم وأصحابه ونسوة معهم»، «ولم يزل الذين وُكلوا بحفظ الجارية التي تُوُهِّم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل»[٤].

---

(١) الغيبة للطوسي: ١٠٧ ـ ١٠٨، ويراجع في ذلك أيضاً كتاب الفصول العشرة للشيخ المفيد: ١٣ و١٤.

(٢) كشف الغمة: ٣/ ٣٤٥.

(٣) الخرائج والجرائح: ١/ ٤٦٠.

(٤) الكافي: ١/ ٥٠٥.

وحدَّث الراوندي: أن المعتمد العباسي وجَّه بخدمه فقبضوا على الجارية التي كانوا يظنون أنها أُم محمد، «فطالبوها بالصبي فأنكرته، وادعتْ حبلاً بها لتغطي حال الصبي، فسُلِّمتْ إلى ابن أبي الشوارب القاضي»، ثم سرعان ما مات الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، ووردت الأنباء بخروج صاحب الزنج بالبصرة، «فشُغِلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم»[١].

❀ ❀ ❀

وأما حضور حكيمة ابنة الإمام الجواد (ع)[٢] الولادة يومها وقيامها مقام القابلة ـ كما تقدم بيانه في صدر هذا الفصل، وكما نصَّ عليه ابن حزم راوياً له عن جماعة من معاصري ولادة الإمام المهدي (ع)[٣] ـ فليس فيه ما يبعث على الغرابة أو يثير التساؤل، بعد معرفة التزام الإمام العسكري وجميع أهل داره بكتمان خبر هذه الولادة وعدم إعلانها على رؤوس الأشهاد.

ولعل من أوضح الشواهد على جهل هذا الكاتب وأفراد فريقه بأحكام الفقه ومسائل الشريعة عدّهم خبر الولادة من أخبار الآحاد التي لا يمكن الاحتجاج بها لانفراد حكيمة بحضور تلك الولادة، ولو رجعوا إلى ما ذكره الفقهاء المسلمون في أحكام الشهادات لرأوا النص على الاكتفاء بشهادة النساء وحدهن فيما لا يصح أن يطلع عليه غيرهن من عورات النساء وحملهن وحيضهن وشؤون الولادة والرِّضاع، بل النص

(١) الخرائج والجرائح: ٣/ ١١٠٣ ـ ١١٠٤.

(٢) توفيت حكيمة ابنة محمد بن علي الرضا (ع) في سنة ٢٧٤هـ، ودفنت مما يلي رجلي الإمامين العسكريين، وقبرها في الروضة العسكرية معروف بزوره الزائرون.

(٣) الفصل: ٤/ ١٨١.

على الاكتفاء بشهادة المرأة الواحدة في مثل ذلك[١]، وهو أمر لا يحتاج لدى جمهور العارفين إلى مزيد شرح وتطويل، ولوضوح ذلك قال الشيخ الطوسي معلقاً عليه: «على أن الولادة في الشرع قد استقر بقول القابلة ويحكم بقولها في كونه حياً أو ميتاً»[٢].

❀ ❀ ❀

وأما ما طبَّل به المطبِّلون من دلالة ما رُوي من إقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بن علي بوفاة أخيه[٣] على عدم وجود ولدٍ للإمام العسكري فهو من أتفه وجوه الاستدلال؛ بل من أوهى ما يمكن أن يقال؛ إذا ما وقفنا على تفصيل أفاعيل جعفرٍ هذا في ذلك اليوم.

ويقول الشيخ المفيد متحدثاً عما وقع أيام وفاة الإمام العسكري (ع): أن جعفر بن علي أخا الإمام أبي محمد (ع) تولّى أخْذَ تركة أخيه، «وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله، وشنَّع على أصحابه بانتظارِهم ولدَه وقطعِهم بوجوده والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرَّدهم... واجتهد في القيام عند الشيعة مقام أخيه، ولم يقبل أحد منهم ذلك ولا اعتقده فيه»[٤].

وقال الفضل الطبرسي: «إن جعفراً تولى أخذ تركة أخيه بعد وفاته، «وسعى إلى السلطان في حبس جواري أبي محمد (ع)... واجتهد في القيام مقامه فلم يقبله أحد من الطائفة؛ بل تبرأوا منه ولقبوه الكذاب»[٥].

---

(١) يراجع في التفاصيل على سبيل المثال: كتاب المخلَّى: ١٠/ ٢٦٧ ـ ٢٧٠.

(٢) غيبة الطوسي: ٨١.

(٣) توفي جعفر هذا في سنة ٢٧١هـ وهو ابن خمس وأربعين سنة، ودفن في دار أبيه.

(٤) الإرشاد: ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٥) إعلام الورى: ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢.

وقال ابن الصباغ المالكي: إن جعفراً استولى على تركة أخيه، «وسعى في حبس مواليه، وشنع على أصحابه عند السلطان، وذلك لكونه أراد القيام عليهم مقام أخيه فلم يقبلوه لعدم أهليته لذلك ولا ارتضوه»[١].

واشتهرت الرواية في المصادر عن أحمد بن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان أنه قال: لما دُفن الإمام العسكري «جاء جعفر أخوه إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أُوصِل إليك في كل سنةٍ عشرين ألف دينار. فزبره أبي وأمعه ما كره وقال له: يا أحمق؛ السلطان ـ أطال الله بقاءه ـ جرَّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردَّهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتِّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا. فاستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يُحْجب عنه»[٢].

وقال الطوسي والمجلسي معلّقين على موضوع جعفر وأفعاله وادعاءاته:

«أما إنكار جعفر بن علي صاحب الزمان أن يكون ولداً لأخيه الحسن بن علي وُلد في حياته... فليس يعتمد على مثله أحدٌ من المحصّلين، لاتفاق الكل على أن جعفراً لم تكن له عصمة كعصمة الأنبياء... بل الخطأ جائز عليه والغلط غير ممتنع منه، وقد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب مع أخيهم يوسف وطرحهم إياه في الجب...

---

(١) الفصول المهمة: ٢٧٢.

(٢) الكافي: ١/ ٥٠٦ والإرشاد: ٣٦٦ وإعلام الورى: ٢/ ١٥٠ والمناقب: ٢/ ٤٥٧ وكشف الغمة: ٣/ ٢٠٥.

وهم أولاد الأنبياء. . . فإذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه فلم لا يجوز مثله من جعفر بن علي مع ابن أخيه»[١].

وأُضيف إلى التعليق المتقدم؛ مشيراً إلى ما حدثنا به القرآن الكريم من قتل أحد ابني آدم لأخيه، وإلى ما رواه المؤرخون مجمعين من أفاعيل بعض الأعمام بأبناء أخوتهم كفعل أبي لهب ـ تَبتْ يداه ـ بابن أخيه النبي الأعظم (ص)؛ وكفعل العباس بن عبد المطلب في خروجه مع جيش المشركين في در لحرب ابن أخيه، وإلى آخر ما ورد في مصادر التاريخ من الأشباه والنظائر لهذه المواقف السيئة التي وقفها بعض الأخوة والأعمام، مما لم يجد فيها أي عاقل حصيف دليلاً على نفي النسب أو إنكار القربى والحسب أو الشك في الولادة والوجود، بل لم يفهم الناس منها ـ على فظاعتها ـ سوى هيمنة غرائز الشر والسوء على سلوك أولئك القائمين بتلك الأعمال المنكرة والتصرفات الذميمة المرفوضة.

❀ ❀ ❀

وخلاصة القول الذي نختم به هذا الفصل المعني بولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع): أن الشيء الثابت القطعي الذي ترشدنا إليه هذه الإلمامة السريعة بشبهات الجاهلين والمغرضين ووضوح ما أسلفنا ذكره في إثبات زيفها وبطلانها؛ أنه لم يبق في قوس هؤلاء المشككين منزع لسهامهم؛ ولم يوفقوا في جميع ما دوَّنوا وجعجعوا به من ظنون وأوهام إلى طرح ما يقنع ويصمد أمام ما سبق شرحه وبيانه.

وما أدري هل كان هؤلاء «القوم» المدَّعون للبحث العلمي جادّين

(١) بحار الأنوار: ٥١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ والغيبة للطوسي: ١٠٦ ـ ١٠٧.

حقاً ومدركين (بوعي لمعنى قولهم: بأن الكتب (المعتبرة!!) قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، أم أنهم عنوا بها أوراقاً ـ بالخصوص ـ من مدوِّنات (سلفهم) المعاند المتعصب أو (خلفهم) اليهودي المتستر، وإن خالفت صراحة وعلناً جميع ما أورده المحدثون والمؤرخون المسلمون؛ على اختلاف المذاهب والآراء والعصور والقرون؟!!

وهل يرى القارىء الخبير البصير بعد كل ما تقدَّم أن بإمكان تلك المغالطات والمزاعم المتخذة من اختلاف تاريخ الولادة أو اسم الأُم أو مسألة الوصية منطلقاً للتردد والتشكيك، أن تمسخ الأحداث وتطمس الحقائق وتقلب وقائع التاريخ رأساً على عقب؟؟

ونكتفي هنا في ختام هذا الحديث لزيادة الإيضاح أن ننقل ما علَّق به الشيخ الطوسي محمد بن الحسن على ذلك فقال في جملة كلامه:

«إن ستر ولادة صاحب الزمان (ع) ليس بخارق للعادات، إذ جرى أمثال ذلك فيما تقدم من أخبار الملوك، وقد ذكره العلماء... ومن ذلك ما هو مشهور كقصة كيخسرو وما كان من ستر أمه حملها وإخفاء ولادتها... وكان جده كيقاوس أراد قتل ولده فسترته أمه إلى أن ولدته، وكان من قصته ما هو مشهور في كتب التاريخ» ومنها تاريخ الطبري[1].

«وقد نطق القرآن بقصة إبراهيم (ع) وأن أمه ولدته خفيّاً وغيبته في المغارة حتى بلغ وكان من أمره ما كان، وما كان من قصة موسى (ع) فإن أمه أَلْقَتْه في البحر خوفاً عليه وإشفاقاً من فرعون عليه، وذلك مشهور نطق به القرآن».

(١) تاريخ الطبري: ١/٥٠٦.

«ومثل ذلك قصة صاحب الزمان (ع) سواء، فكيف يقال أن هذا خارج عن العادات»[١].

❀ ❀ ❀

والحمد لله الذي هدانا لمعرفة الحق ونهج الرشاد بلطفه ومنّه، ووفقنا لتجنُّب مسالك التضليل والتهريج بتسديده وفضله، وما كنا لنهتدي إلى ذلك لولا أن هدانا الله تعالى بكرمه ورحمته.

(١) غيبة الطوسي: ١٠٥ ـ ١٠٦.

الإمام محمد بن الحسن المهدي

بين إمامته وغيبته

في سنة ٢٦٠هـ كما أجمعت روايات المؤرخين، توفي الإمام الحسن العسكري (ع)؛ فخلت الساحة الإسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة والجامع لشرائط الإمامة وصفاتها المقررة في الفقه الإسلامي، وأصبح ابنه محمد بن الحسن منذ هذا اليوم هو الإمام من بعده بالنص والتعيين.

وكان الدليل على إمامته ـ كما يقول الباحث الطبرسي ـ ذا ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: «النصُّ عليه من جهة أبيه خاصة».

الوجه الثاني: «النصُّ على عدد الأئمة الاثني عشر».

الوجه الثالث: «النصُّ عليه بذكر غيبته وصفتها ووقوعها على الحد المذكور»[1].

ونورد فيما يأتي بعض التفاصيل في بيان ما يتعلق بكل وجهٍ من هذه الوجوه الثلاثة؛ فنقول وبالله الاستعانة:

---

(١) إعلام الورى: ٢/ ٢٥٧.

الوجه الأول من أدلة الإمامة: نصُّ أبيه عليه:

وكانت نصوص الإمام العسكري على كون ابنه محمد هو الإمام من بعده كثيرة جداً على الرغم من التزام التكتم وقسوة الظروف وخشية السلطان، وكانت إحدى تلك الروايات ما حدَّث به أبو الأديان خادم الإمام الحسن (ع) وحامل كتبه إلى وكلائه في الأمصار، قال:

«كنتُ أخدم الحسن بن علي العسكري (ع) وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلتُ عليه في علته التي توفي فيها وكتب معي كتباً فقال: امض بها إلى المدائن، فإنك ستغيب... وتدخل إلى سُرَ من رأى... وتسمع الواعية في داري... قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمَنْ؟ قال: مَنْ طالبك بجوابات كتبي».

قال أبو الأديان: «وخرجتُ بالكتب إلى المدائن وأخذتُ جواباتها، ودخلتُ سرمن رأى يوم الخامس عشر... فإذا أنا بالواعية في داره... وإذا أنا بجعفر الكذاب أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأني كنتُ أعرفه بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمتُ... فلم يسألني عن شيء... فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي (ع) على نعشه مكفَّناً... ثم خرج صبي بوجهه سمرة وبشعره قطط وبأسنانه تفلُّج... فتقدم الصبي وصلى عليه... ثم قال لي: يا بصري؛ هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه ـ إلى آخر الرواية ـ»[1].

وجاء في الخبر عن علي بن محمد المعروف بابن بندار عن محمد بن علي بن بلال قال:

---

(١) كمال الدين: ٢٦٢ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٠١ ـ ١١٠٣.

«خرج إليَّ من أبي محمد قبل مضيِّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليَّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده»[١].

وحدَّث الصدوق بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعيد قال:

«سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري (ع) يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله (ص) خَلْقاً وخُلُقاً، يحفظه الله تعالى في غيبته ثم يظهره فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً»[٢].

وروى أيضاً بسنده عن محمد بن عثمان العمري قال: سمعتُ أبي يقول:

«سئل أبو محمد الحسن بن علي (ع) وأنا عنده عن الخبر الذي رواه عن آبائه (ع) أن الأرض لا تخلو من حجةٍ لله على خلقه إلى يوم القيامة؛ وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟ فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق. فقيل له: يا ابن رسول الله؛ فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقَّاتون»[٣].

وروى أيضاً بسنده عن أبي الفضل الحسين بن الحسن العلوي قال:

---

(١) أصول الكافي: ١/٣٢٨.

(٢) كمال الدين: ٢٢٨.

(٣) كمال الدين: ٢٢٨.

«دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي (ع) بسرمن رأى فهنَّأته بولادة ابنه القائم»[١].

إلى غير ذلك من الروايات عن الإمام العسكري ـ وقد تقدم ذكر بعضها في الفصل الأول عند الحديث عن ولادة الإمام مهدي ـ، وهي من الكثرة والوفرة بمكان، بل تكاد على اختلاف ألفاظها ومناسباتها معدودة في المتواتر معنى ومضموناً، ويستطيع الراغب بالوقوف عليها مراجعتها في مظانها المعلومة[٢].

وهكذا يتضح أن ادعاء عدم إعلام الإمام العسكري أصحابه بأمر هذا الولد مرفوض جملة وتفصيلاً، لكثرة الروايات المبينة لذلك والصريحة فيه كما مر، وقد تحدث بعضها عن أخبار أبيه بمولده؛ وبعضها عن التهنئة له بذلك؛ وبعضها عن رؤية قوم لهذا الولد وهو طفل صغير في حياة أبيه، وقد شاهدوا وجوده في حياته كما نصَّ على ذلك الشيخ الطوسي، وذكر أن هؤلاء المشاهدين له كانوا أصحاب الإمام العسكري وخاصته والوسائط بينه وبين شيعته ينقلون إليهم عنه معالم الدين ويخرجون إليهم أجوبته في مسائلهم، «وهم جماعة كان الحسن بن علي (ع) عدَلهم في حياته، واختصهم أمناء له في وقته. . . . وكانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة؛ ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظَّمين عن سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم»[٣].

---

(١) كمال الدين: ٢٤٢ وغيبة الطوسي: ٢٣٠ و٢٥١.

(٢) يراجع في مصادر ذلك: الكافي: ١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ وإثبات الوصية: ٢٠٥ و٢١٥ ـ ٢١٦ وكمال الدين وتمام النعمة (في كثير من صفحات الكتاب) والإرشاد: ٣٧٥ و٣٧٦ والغيبة للطوسي (في كثير من فصول الكتا وأبوابه) وإعلام الورى: ٢/ ٢٤٨ ـ ٢٥٣ وكشف الغمة: ٣/ ٢٤٣ و٢٤٦ و٣٣٤ ـ ٣٣٦ والفصول المهمة: ٢٧٤ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٦٠ و١٦١ وينابيع المودة: ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٣) غيبة الطوسي: ١٠٨ ـ ١٠٩.

أما ما أورده المشككون ـ ومنهم الدكتور عداب ـ من أن فرضية وجود محمد بن الحسن العسكري وولادته «لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم» فهو كلام لا يليق بأي متعلِّم قوله والإقرار به، لأن الروايات المتعددة المأثورة عن أئمة أهل البيت (ع) جميعاً تبعاً للمأثور عن النبي (ص) صريحة في النص على هذا الحفيد والتبشير به قبل تولده بعشرات السنين، وقد حدَّث بذلك الثقات من أصحابهم، بل يصح أن يعدَّ هذا النص والتبشير ـ بالإضافة إلى كونه دليلاً نقلياً صحيح الإسناد ـ بمثابة ملحمة تاريخية إعجازية ناطقة بوجوده وولادته قبل وقوعها بزمن غير قليل.

ولوضوح ذلك كله وقبح محاولات إنكاره وتكذيبه حاول (كاتبهم) ذو الاسم المستعار أن يخفف من ذلك القبح فلم ينكر أخبار المهدي ولكنه قال: إن تاريخ أهل البيت ورواياتهم تقول: «بغموض شخصية المهدي ورفض تحديده» و«أن الأحاديث الصادرة عن أهل البيت أو الرائجة في أيامهم كانت تتحدث بشكل مجهول وغامض عن القائم المهدي، ولا تحدده بالذات مَنْ هو، ولا تشخصه بالضبط، وإنما تتحدث عن صفاته وعلامات خروجه وشروط قيامه»[1].

وجليّ لكل ذي عينين أن روايات أهل البيت ـ وقد تقدم إيراد بعضها ويأتي بعض آخر منها ـ صريحة كل الصراحة في تحديد «شخصية المهدي» بلا «غموض» ولا خفاء؛ وليس فيها ما يصح أن يقال عنه بأنه «مجهول وغامض».

وخلاصة القول ـ كما نصَّ عدد من الباحثين القدامى ـ أن «أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة (ع) بل زمان أبيه وجدِّه... وخلَّدها

(١) كتابه: ٧١ و٧٦.

المحدِّثون من الشيعة في أصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق (ع)، وأثروها عن النبي (ص) والأئمة واحداً بعد واحد... ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين من الشيعة: الحسن بن محبوب الزراد، وقد صنف كتاب المشيخة الذي هو في أصول الشيعة... قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه بعض ما أوردناه من أخبار الغيبة، فوافق الخَبَرُ الخُبْرَ، وحصل كل ما تضمنه الخبر بلا اختلاف»[1].

وكان المتقدمون من المحدثين والمؤرخين ـ ومن أوائلهم الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١هـ ـ قد أولوا هذا الموضوع اهتمامهم الخاص في مؤلفاتهم وكتبهم، وأورد الصدوق المذكور في كتابه كمال الدين وتمام النعمة أبواباً تضمنت النصوص النبوية على المهدي وكونه الثاني عشر من الأئمة (ع)، ثم نصوص الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على ذلك، وكذلك نصوص الأئمة التالين لعلي ابتداء من الحسن بن علي فالحسين بن علي فأولاده واحداً بعد آخر (ع)[2].

ونورد من جملة تلك النصوص على سبيل المثال ما رواه الصدوق بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال:

«سمعتُ دعبل بن علي الخزاعي يقول: لما أنشدتُ مولاي الرِّضا (ع) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصات

(١) إعلام الورى: ٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

(٢) يراجع في هذه النصوص: كمال الدين: ١٤٩ ـ ٢١٧.

فلما انتهيتُ إلى قولي:

خروج إمامٍ لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميِّز فينا كلَّ حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

«بكى الرِّضا (ع) بكاء شديداً، ثم رفع رأسه إليَّ فقال لي: يا خزاعي؛ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري مَنْ هذا الإمام ومتى يقوم؟ قلت: لا يا سيدي، إلاّ أني سمعتُ بخروج إمام منكم يطهِّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً. فقال: يا دعبل؛ الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمدٍ ابنه علي، وبعد عليٍّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وأما (متى) فإخبار عن الوقت، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) أن النبي (ص) قيل له: يا رسول الله؛ متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مَثَلُه كمثل الساعة لا يجلّيها لوقتها إلا هو»[1] ويعدُّ هذا النص الرَّضوي الصحيح السند وأمثاله من النصوص المأثورة عن النبي والأئمة في المهدي المنتظر وكونه ابن الحسن بن علي العسكري نصوصاً إعجازية لافتة للنظر، لصدورها قبل تاريخ ولادة الإمام المهدي بعشرات السنين.

ويقول الشيخ الطوسي وهو يستعرض الأخبار الواردة عن رسول الله (ص) والأئمة (ع) في هذا الموضوع:

«موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه فكان كما تضمَّنه، فكان ذلك دلالة على صحة ما ذهبنا إليه من

(١) عيون أخبار الرضا: ٣٧٠ وكمال الدين: ٢١٠ ـ ٢١١.

إمامة ابن الحسن، لأن العلم بما يكون لا يحصل إلا من جهة علام الغيوب، فلو لم يُرْوَ إلا خبر واحد ووافق مخبره ما تضمنه الخبر لكان ذلك كافياً، ولذلك كان ما تضمنه القرآن من الخبر بالشيء قبل كونه دليلاً على صدق النبي (ص) وأن القرآن من قبل الله تعالى، وإن كانت المواضع التي تضمنت ذلك محصورة، ومع ذلك مسموعة من مخبر واحد، لكن دلَّ على صدقه من الجهة التي قلناها. على أن هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنى: فأما اللفظ فإن الشيعة تواترت بكل خبرٍ منه، وأما المعنى فإن كثرة الأخبار واختلاف جهاتها وتباين طرقها وتباعد رواتها يدل على صحتها، لأنه لا يجوز أن يكون كلها باطلة، وبذلك يستدل في مواضع كثيرة على معجزات النبي (ص) التي هي سوى القرآن وأمور كثيرة في الشرع تتواتر معنى وإن كان كل لفظ منها منقولاً من جهة الآحاد... ولذلك استدل على سخاء حاتم وشجاعة عمرو وغير ذلك بمثل ذلك؛ وإن كان كل واحدٍ مما يروى من عطاء حاتم ووقوف عمرو في موقف من المواقف من جهة الآحاد»[1].

وهكذا يتجلى بوضوح من مجموع ما تقدم أن النصَّ على إمامة محمد بن الحسن العسكري ـ من أبيه ومن سائر الأئمة السابقين عليه ـ ثابت ومسلَّم لا يرقى إليه شك أو ترديد، إلا ما يمكن أن يدور في أذهان بعض الناس ممن لا يستحضرون النصوص القرآنية والأدلة الدينية المتلقاة بالقبول عند جميع المسلمين، فيقفون حائرين أمام صغر عمر هذا الفتى يوم صيرورته إماماً إثر وفاة أبيه، وربما دفعتهم هذه الحيرة إلى التوقف في الاعتقاد بإمامته أو رفضها بتوهم مانعية صغر السن من ذلك.

ولا بد لنا هنا من إعادة الإشارة والتأكيد على لباب المطلب في

(١) الغيبة: ١٧٣ ـ ١٧٤.

هذه المسألة وما كان على شاكلتها من المسائل الدينية، في كونها مستندة أولاً وأخيراً إلى إرادة الله تعالى، بعيداً عن الأعراف الدنيوية المتداولة بين الناس، لأن قضية النبوة ـ وامتدادها الشرعي المتمثل بالإمامة ـ جزء لا يتجزأ من الشؤون الإلهية التي يعجز البشر عن إخضاعها لمقاييسهم المتعارفة وتقرير الأحكام بشأنها كما تملي أفكارهم وآراؤهم المستمدة من مشاهداتهم ونواميس عاداتهم، وقد أشار إلى ذلك الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان وهو يتحدث عن صغر سن الإمام المهدي حين إمامته فقال:

«إن سنَّه كانت «عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، وآتاه الحكمة كما آتاها يحيى صبياً، وجعله إماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبياً»[1].

أما من كان في شك من ذلك فلا مناص لإزالة شكه من العودة به إلى صلب المسألة ومنطلق البحث الأساس، فيُسأل عن مدى عمق إيمانه بالقرآن الكريم وما جاء فيه من ضروب المعجزات وخوارق العادات؛ وبالحديث الصحيح وما ورد فيه من ذلك، إذ لا يمكن الوصول إلى النتائج والاتفاق عليها في شؤون الدين إلا في ضوء الإقرار بهذين الأصلين الرئيسين اللذين يشكلان المصدر الثابت للاعتقاد السليم والإيمان الخالص.

وكان الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين قد أفاض في شرح هذا الموضوع فأحسن وأجاد، وجاء في جملة ما قال:

---

(١) الإرشاد: ٣٧٢.

إن «كلَّ مَنْ سَألَنا من المخالفين عن القائم (ع) لم يخل من أن يكون قائلاً بإمامة الأئمة الأحد عشر من آبائه (ع) أو غير قائل بإمامتهم. فإن كان قائلاً لزمه القول بإمامة الإمام الثاني عشر، لنصوص آبائه الأئمة عليه باسمه ونسبه؛ وإجماع شيعتهم على القول بإمامته وأنه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وإن لم يكن السائل من القائلين بالأئمة الأحد عشر لم يكن له علينا جواب في القائم الثاني عشر من الأئمة، وكان الكلام بيننا وبينه في إثبات إمامة آبائه الأئمة الأحد عشر (ع). وهكذا لو سألَنا يهودي فقال لنا: لِمَ صارت الظهر أربعاً والعصر أربعاً والعتمة أربعاً والغداة ركعتين والمغرب ثلاثاً، لم يكن له علينا في ذلك جواب، بل لنا أن نقول له: إنك منكر لنبوة النبي الذي أتى بهذه الصلوات وعدد ركعاتها فكَلِّمْنا في نبوته وإثباتها، فإن بطلتْ بطلتْ هذه الصلوات وسقط السؤال عنها، وإن ثبتت نبوته لزمك الإقرار بفرض هذه الصلوات على عدد ركعاتها، لصحة مجيئها عنه واجتماع أمته عليها عرفتَ علتها أم لم تعرفها. وهكذا الجواب لمن سأل عن القائم (ع)»[1].

وهذا هو فصل الخطاب ولب اللباب.

الوجه الثاني من أدلة الإمامة: النص النبوي على عدد الأئمة:

وكونهم اثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون، وهو نص صريح على تعيين العدد وثبوته، ودالٌّ على المطلوب إذا ما أضيف إلى ما تقدم من نصوص إمامة محمد بن الحسن العسكري (ع)، وقد أورده ابن حزم جازماً قاطعاً وقال بعد إيراده: «هذه رواية جاءت مجيء التواتر»[2]،

(١) كمال الدين: ٢٧.

(٢) الفصل: ٤/ ٨٩.

وقال الحافظ ابن حجر الهيتم بعد الاستشهاد به: «حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابياً»[١].

وكيف لا يكون صحيحاً ومتواتراً وقد أخرجه المحدثون المسلمون جميعاً بأسانيدهم وطرقهم المعتمدة عندهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: البخاري ومسلم في صحيحهما[٢]، وأبو داوود والترمذي في سننهما[٣] والإمام أحمد بن حنبل في مسنده[٤] والحافظ الطبراني في معجمه[٥] وكثير غيرهم. ورواه ابن حنبل في بعض أسانيده بلفظ «الأئمة من قريش»[٦]، وجاء في بعض ألفاظ الطبراني في رواياته: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لا يضرهم مَنْ خذلهم»[٧]، وفي بعض آخر: «اثنا عشر قيماً من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم»[٨].

وواضح لكل قارىء لهذه الروايات أن الحصر العددي فيها غير قابل للتفسير والتأويل، لعدم إمكان انطباقه بأي نحو من الأنحاء على من تولى شؤون السلطان في التاريخ الإسلامي ممن يطلق عليهم اسم (الخلفاء) و(أمراء المؤمنين)، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث ـ كما قال الحافظ القندوزي الحنفي ـ «على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على

(١) الصواعق المحرقة: ٦.
(٢) صحيح البخاري: ٩/ ١٠١ وصحيح مسلم: ٦/ ٣ و٤.
(٣) سنن أبي داوود: ٢/ ٤٢١ وسنن الترمذي: ٤/ ٥٠١.
(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٢٩ و١٨٣ و٤/ ٤٢١، و٥/ ٨٦ ـ ٩٠ و٩٢ و١٠٦.
(٥) المعجم الكبير: ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٦ و٢١٨ و٢٤٨ و٢٥١ و٢٧٧ و٢٨٣ و٢٨٥.
(٦) مسند ابن حنبل: ٣/ ١٢٩ و١٨٣.
(٧) المعجم الكبير: ٢/ ٢١٤.
(٨) المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٦.

اثني عشر... ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور»[١].

وعلى الرغم من تواتر هذا الحديث ـ معنىً وحصر عددٍ ـ وصحته المسلَّمة عند جميع المعنيين، فقد حكم (كاتب) فئة التشكيك بضعفه وأبى الإقرار به، وقال في ضمن تعليقاته العجيبة على ما سماه «نظرية الاثني عشر» عند الشيعة:

«قام أصحاب النظرية باستيراد أحاديث من أهل السنة مروية عن رسول الله (ص) تشير إلى عدد الخلفاء أو الأمراء من بعده وتذكر رقم اثني عشر، وأضافوا إليها أحاديث اختلقوها بعد ذلك!!! تشير إلى حصر الإمامة في اثني عشر إماماً»، ثم طعن في جميع هذه الأحاديث قائلاً: إنها «ضعيفة عند السنة ولا يلتزم أحد بمضمونها»[٢].

وأضاف هذا (الكاتب) إلى ذلك في موضع آخر من كتابه وهو يكرر رفضه لهذه الأحاديث فقال:

«الدليل النقلي الذي يعتمد على الروايات حول المهدي والأئمة الاثني عشر... انطلق في البداية من رواية سنية ضعيفة تحتوي على ذكر اثني عشر أميراً أو خليفة... وهي ليست واضحة في مضمونها ولا مبينة لأسماء الخلفاء ولا مقتصرة على اثني عشر خليفة»[٣].

وغير خفي على كل واقف على هذه الأقوال إنها مجرد ادعاءات عريَّة عن الدليل والبرهان، لأن ما زعمه من ضعف هذه الأحاديث مردود

(١) ينابيع المودة: ٤٤٦.
(٢) كتاب الكاتب المذكور: ١١٠ ـ ١١١.
(٣) كتاب الكاتب المذكور: ١٨٧.

بورودها في الصحيحين المعروفين وفي غيرهما من مصادر الحديث الشهيرة بين المسلمين، وأما القول بأنها غير واضحة المضمون ولا مقتصرة على اثنى عشر خليفة فيكفينا في ردِّه حثُّه على مراجعة كتب اللغة العربية ومعجماتها ليفهم منها معاني ألفاظ الحديث، إذ ربما أنساه السكن الطويل في لندن معاني تلك الألفاظ فلم يعد يعرف المراد منها في هذا المقام.

وحسبنا في كشف جهل هذا الرجل بحقائق الدين ومفاهيم الحديث أن نذكر له ما أعلنه الدكتور عداب محمود المؤهَّل لأن يكون شيخ هذه المجموعة وقطب رحاها؛ من أن إسناد حديث (الأئمة من قريش) صحيح لا شائبة فيه[١] وحديث (الاثنى عشر) صحيح مشهور[٢]، وبذلك ألقم هؤلاء الأتباع المشككين جواباً مسكتاً لا يقوون معه على الاستمرار في ترداد هذه الأقاويل.

الوجه الثالث من أدلة الإمامة: النص على اسم ‹المهدي› وغيبته:

وقد علم جميع الواقفين على مصادر الحديث الشريف أن هذا النص لم يكن خبراً واحداً أو اثنين، وإنما هي مجموعة أخبار نبوية متواترة المعنى والمدلول ومتوحدة الهدف والسياق والاتجاه، وإن لم تكن متطابقة تماماً في اللفظ لتعد من المتواتر اللفظي، وقد تجاوزت العشرات عداً إلى المئات، ورواها جمع غفير من الصحابة، وأخرجها عدد غفير أيضاً من الحفاظ ونقلة الحديث. وبهذه الاستفاضة والتواتر لم

(١) المهدي المنتظر: ٢٨٠.

(٢) المهدي المنتظر: ٢٨٣.

يعد يصح علمياً النقاش أو التردد في صحة هذه الأحاديث وفي القطع بما جاء فيها وبما دلت عليه.

وإذا كان في بعض تلك الأحاديث ما لم يكن قطعي السند وإن كان ظاهر المعنى والدلالة، فإن قواعد علم الحديث المتفق عليها عند المعنيين توجب الأخذ بها والعمل بموجبها؛ لاعتضادها وانجبارها بالطائفة الأخرى الصحيحة السند والمسلمة الثبوت، ولذلك تداول الجمهور رواية الجميع لإجماعهم على مضمونها بالقطع واليقين.

ويمكننا إيجاز مدلول تلك الأحاديث وتصنيفها على النحو الآتي:

١ ـ الروايات المصرِّحة بكون المهدي من قريش:

كقول النبي (ص): «أبشركم بالمهدي، رجلٍ من قريش من عترتي، يُبعث في أمَّتي على اختلافٍ من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً»[١].

٢ ـ المهدي من أولاد عبد المطلب:

كقول النبي (ص): «نحن سبعة من ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين والمهدي»[٢].

٣ ـ المهدي من العترة:

من أهل البيت:

من آل محمد (ص):

---

(١) الصواعق المحرقة: ٩٩ والحاوي: ٢/ ١٢٤ وإسعاف الراغبين: ٢٤٣.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٨ والفصول المهمة: ٢٧٦ والحاوي: ٢/ ١٢٤ وينابيع المودة: ٤٣٥.

كقول النبي (ص): «المهدي من عترتي»[١] أو قوله (ص): «المهدي منا أهل البيت»[٢] أو قوله (ص): «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[٣] أو قوله (ص): «لا تذهب الدنيا ـ أو لا تنقضي الدنيا ـ حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي»[٤] أو قوله (ص): «لا تقوم الساعة حتى تمتلىء الأرض ظلماً وعدواناً ثم يخرج من عترتي ـ أو من أهل بيتي ـ من يملأها قسطاً وعدلاً كما مئلت ظلماً وعدواناً»[٥]. وقال الشيخ الشبلنجي: «تواترت الأخبار عن النبي (ص) أن المهدي من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً»[٦].

٤ ـ المهدي من أولاد علي (ع):

كقول النبي (ص): «إن علياً وصيي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٧] وقوله (ص) وقد أخذ بيد علي (ع): «سيخرج من صلب هذا فتىً يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»[٨].

---

(١) سنن أبي داوود: ٢/ ٤٢٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ٢/ ١٢٤ وإسعاف الراغبين: ١٣١.

(٢) سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٧.

(٣) سنن أبي داوود: ٢/ ٤٢٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والفصول المهمة: ٢٧٣ والحاوي: ٢/ ١٢٥ ونور الأبصار: ١٥٧.

(٤) سنن الترمذي: ٤/ ٥٠٥ ومسند ابن حنبل: ١/ ٣٧٦ و٣٧٧ و٤٣٠ و٤٤٨ وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٨٨ والحاوي: ٢/ ٨١٢٥

(٥) مسند ابن حنبل: ٣/ ٣٦.

(٦) نور الأبصار: ١٥٧.

(٧) ينابيع المودة: ٤٤٨.

(٨) الحاوي: ٢/ ١٣٠.

٥ ـ المهدي من أولاد فاطمة (ع):

كقول النبي (ص): «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[١] وقال السهيلي في شرح السيرة وهو يتحدث عن فضائل فاطمة الزهراء (ع): «ومن سؤددها أيضاً أن المهدي المبشَّر به آخر الزمان من ذريتها»[٢].

٦ ـ المهدي من أولاد الحسين (ع):

كقول النبي (ص) من جملة حديث طويل: «ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة»[٣]، وقوله (ص) أيضاً: «لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً»[٤].

أما ما روى أبو داوود في سننه من حديث أبي إسحاق السبيعي من قول علي (ع) وقد نظر إلى ابنه الحسن فقال: «إن ابني هذا سيد كما سماه النبي (ص)، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم ـ إلى آخر الحديث ـ»[٥] فلا يمكن تصحيحه وقبوله، لأن أبا داوود رواه عن مجهول لم يُسَمِّه بل اكتفى بالقول: «حُدِّثتُ عن هارون»، ولأن الحديث

---

(١) سنن أبي داوود: ٢/ ٤٢٢ وسنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٦٨ والمستدرك على الصحيحين: ١٦٦١ والبيان: ٦٤ وسير أعلام النبلاء: ١١/ ٤١٧ والفصول المهمة: ٢٧١ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ٢/ ١٢٤ و١٣٧. ومما ينبغي ذكره تعقيباً على هذا الحديث أن الحافظ الهيتمي في صواعقه والشيخ الصبان في الإسعاف قد نصَا على وروده في صحيح مسلم ولكني لم أجده في طبعة محمد علي صبيح القاهرية.

(٢) الروض الآنف: ١/ ٢٨٠.

(٣) البيان: ٨٢.

(٤) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٥) سنن أبي داوود.

منقطع لعدم سماع أبي إسحاق من علي (ع) وهو المولود لسنتين بقيتا من خلافة عثمان كما نصَّ ابن حجر، ولاحتمال طروء التصحيف بين الحسن والحسين (ع)، مضافاً إلى أن هذا الحديث مما تفرد به أبو داوود ولم يخرجه غيره.

٧ ـ المهدي التاسع من ذرية الحسين (ع):

كما في رواية سلمان الفارسي قال: «دخلت على النبي (ص) فإذا الحسين على فخذيه، وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي»[١].

٨ ـ المهدي ثاني عشر الأوصياء وثاني عشر الأئمة:

كقول النبي (ص) في حديث طويل: «... إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي. فهؤلاء اثنا عشر»[٢].

٩ ـ المهدي ابن الحسن العسكري:

كقول النبي (ص) وهو يحدث جابر بن عبد الله الأنصاري عن

---

(١) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤١.

الأئمة من بعده ذاكراً أسماءهم واحداً بعد واحد، إلى أن قال: «فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة، فيغيب ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً»[١].

❀ ❀ ❀

أما ما ورد في بعض المصادر في خلال حديث أُسند إلى النبي (ص) أنه ذكر المهدي وقال: «من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»[٢] فالظاهر أن جملة «واسم أبيه اسم أبي» من الزيادات التي لم تكن في الأصل من جملة الحديث.

وقد رُوي هذا النص المشتمل على الزيادة عن عاصم بن أبي النجود بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص)، ولكن أغلب الحفاظ وأكثر المحدثين قد رووه بلا زيادة «واسم أبيه اسم أبي» ومنهم الترمذي في سننه وقال: «وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح»[٣]، وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع والطبراني بطرق متعددة من غير هذه الزيادة.

وجمع الحافظ الكنجي الشافعي طرق هذا الحديث وأوصلها إلى أكثر من ثلاثين راوياً عن عاصم، ونقل ما جمعه الحافظ أبو نعيم من تلك الطرق المنتهية إلى عاصم[٤]، ولم يرد في طريق منها لفظ «واسم أبيه اسم أبي»، مما يستفاد منه أنها زيادة من أحد الرواة عن عاصم،

---

(١) إسعاف الراغبين: ١٣٩ ـ ١٤٠ وينابيع المودة: ٤٤٣.
(٢) الحاوي: ٢/ ١٢٥.
(٣) سنن الترمذي: ٤/ ٥٠٥.
(٤) البيان: ٦٠ ـ ٦٢.

ولذلك قال الحافظ الكنجي: «ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها»[١].

وأما ما ورد في بعض الكتب من حديث «المهدي من ولد العباس» أو «يخرج من ولد العباس» فهو مردود فاقد الحجية، لأن سنده المتصل بكعب الأحبار منقطع بما جاء فيه «عن شيخ» ولم يسمِّه، وكذلك السند الذي فيه محمد بن الوليد، ونقل السيوطي عن الدارقطني قوله فيه: «هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد»[٢]، وقال الشيخ محمد الصبان: «وخبر ابن عدي: المهدي من ولد العباس عمي؛ في إسناده وضَّاع»[٣].

وكذلك القول في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه قال: «حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدثني محمد بن خالد الجَنَدي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ص) قال: لا يزداد الأمر إلا شدَّة؛ ولا الدنيا إلا إدباراً؛ ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم»[٤]، فقد ورد هذا الحديث من غير طريق محمد بن خالد الجندي مجرداً من زيادة (ولا مهدي إلا عيسى بن مريم)، وأورده ابن حجر الهيتمي متردداً فيه وقال: «على تقدير ثبوته»، وروى عن الحاكم قوله فيه: «أوردته تعجباً لا محتجاً به»، ثم روى عن البيهقي قوله فيه: «تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم: أنه مجهول، واختلف عنه في إسناده، وصرح النسائي بأنه منكر»[٥]، وقال

(١) المصدر نفسه: ٦٢.
(٢) الحاوي: ٢/ ١٦٥.
(٣) إسعاف الراغبين: ١٣٧.
(٤) سنن ابن ماجة.
(٥) الصواعق المحرقة: ٩٨.

ابن تيمية: هذا الحديث ضعيف وليس مما يعتمد عليه(ط)، وروى الحافظ الكنجي عن الشافعي المطلب قوله في محمد بن خالد الجندي: «كان فيه تساهل في الحديث»، ثم قال الكنجي: «اتفقوا على أن الحديث لا يُقبَل إذا كان الراوي معروفاً بالتساهل في روايته»(١). وقال السيوطي معلقاً على هذا الحديث بعد إيراده: «قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي (ص) في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه»(٢).

❀ ❀ ❀

وهكذا نجد في استعراض هذه الأحاديث ـ بعد الجمع بين متفرقها والملاءمة في مضامينها ـ إنها تحصر مهدي هذه الأمة حصراً بابن الحسن العسكري دون غيره من مدعي المهديَّة، وهذه هي النتيجة القطعية الثابتة التي لا يرقى إليها شك ولا يصح فيها تردد، وكما قال الحافظ الكنجي الشافعي: فإن «انضمام هذه الأسانيد بعضها إلى بعض وإيداع الحفَّاظ ذلك في كتبهم يوجب القطع بصحته»(٣).

ولم يبق ما يمكن أن يقال ـ تشكيكاً أو تعقيباً على مدلول هذه الأحاديث الصريحة الثابتة ـ إلا ما طرح عدد من الباحثين القدامى من تساؤلات قد تدور في ذهن بعض المعترضين؛ وما أجاب به أولئك الباحثون على هذه الاعتراضات بالتفصيل، وكان أوسعها شرحاً وبياناً ما

(ط) منهاج السنة: ٤/ ٢١١.
(١) البيان: ٨٧.
(٢) الحاوي: ٢/ ١٦٥.
(٣) البيان: ٦٥.

أورده محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، فقال فيما نقتطف من مجموع كلامه:

«فإن قال معترض: هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها؛ المصرِّحة بجملتها وأفرادها؛ متفق على صحة إسنادها، ومجمع على نقلها عن رسول الله (ص) وإيرادها، وهي صحيحة صريحة في إثبات كون المهدي من ولد فاطمة (ع)؛ وأنه من رسول الله (ص)؛ وأنه من عترته؛ وأنه من أهل بيته؛ وأن اسمه يواطىء اسمه؛ وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ وأنه من ولد عبد المطلب؛ وأنه من سادات الجنة. وذلك مما لا نزاع فيه، غير أن ذلك لا يدل على أن المهدي الموصوف بما ذكره (ص) من الصفات والعلامات هو هذا أبو القاسم محمد بن الحسن الحجة الخلف الصالح، فإن ولد فاطمة كثيرون، وكل من يولد من ذريتها إلى يوم القيامة يصدق عليه أنه من ولد فاطمة وأنه من العترة الطاهرة وأنه من أهل البيت، فيحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة إلى زيادة دليلٍ على أن المهدي المراد هو الحجة المذكور، ليتم مرامكم».

«فجوابه: أن رسول الله (ص) لما وصف المهدي (ع) بصفات متعددة من ذكر اسمه ونسبه ومرجعه إلى فاطمة (ع) وإلى عبد المطلب وأنه أجْلَى الجبهة أقنى الأنف، وعدَّد الأوصاف الكثيرة التي جمعَتْها الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً، وجعلها علامة ودلالة على أن الشخص الذي يسمى بالمهدي وتثبت له الأحكام المذكورة هو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه، ثم وجدنا تلك الصفات المجعولة علامة ودلالةً مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح دون غيره، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وأنه صاحبها. وإلاَّ فلو جاز وجود ما هو علامة ودليل ولا يثبت ما هو مدلوله قدح ذلك في نصبها علامة ودلالة من رسول الله (ص) على ذلك».

«فإن قال المعترض: لا يتم العمل به بالعلامة والدلالة إلا بعد العلم باختصاص مَنْ وُجِدتْ فيه بها دون غيره وتعيُّنِه لها، فأما إذا لم يُعْلَم تخصيصه وانفراده بها فلا يُحْكَم له بالدلالة. ونحن نسلِّم أنه من زمن رسول الله (ص) إلى ولادة الخلف الصالح الحجة محمد (ع) ما وُجِد من ولد فاطمة (ع) شخص جمع تلك الصفات التي هي العلامة والدلالة غيره، لكن وقت بعثة المهدي وظهوره وولايته هو في آخر أوقات الدنيا عند ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم (ع)، وذلك سيأتي بعد مدة مديدة، ومن الآن إلى ذلك الوقت المتراخي الممتد أزمان متجددة، وفي العترة الطاهرة من سلالة فاطمة (ع) كثرة يتعاقبون ويتوالدون إلى تلك الأيام، فيجوز أن يولد من السلالة الطاهرة والعترة النبوية مَنْ يجمع تلك الصفات فيكون هو المهدي المشار إليه في الأحاديث المذكورة، ومع هذا الاحتمال والإمكان كيف يبقى دليلكم مختصاً بالحجة محمد المذكور».

«فالجواب: إنكم إذا عرفتم أنه إلى وقت ولادة الخلف الصالح وإلى زماننا هذا لم يوجَد مَنْ جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له، عملاً بالدلالة الموجودة في حقه. وما ذكرتموه من احتمال أن يتجدد مستقبلاً في العترة الطاهرة من يكون بتلك الصفات لا يكون قادحاً في إعمال الدلالة؛ ولا مانعاً من ترتيب حكمها عليها، فإن دلالة الدليل راجحة لظهورها، واحتمال تجدد ما يعارضها مرجوح، ولا يجوز ترك الراجح بالمرجوح، فإنه لو جوَّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة للأحكام الشرعية، إذ ما من دليلٍ إلا واحتمال تجدُّد ما يعارضه متطرق إليه، ولم يمنع ذلك من العمل به وفاقاً. ويؤكده أن رسول الله (ص) ـ فيما أورده الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه (٧/ ١٨٩) يرفعه بسنده ـ قال لعمر بن الخطاب: (يأتي عليك

مع أمداد أهل اليمن أُوَيْس بن عامر ـ من مرادٍ ثم من قَرَنٍ ـ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على اللَّه لأبرَّه، فإن استطعتَ أن يستغفر لك فافعل)، فالنبي (ص) ذكر اسمه ونسبه وصفته وجعل ذلك علامة ودلالة على أن المسمى بذلك الاسم المتصف بتلك الصفات لو أقسم على الله لأبرَّه وأنه أهل لطلب الاستغفار منه، وهذه منزلة عالية ومقام عند الله عظيم، فلم يزل عمر بعد وفاة رسول الله (ص) وبعد وفاة أبي بكر يسأل إمداد اليمن مَن الموصوف بذلك، حتى قدم وفد من اليمن فسألهم، فأُخْبِر بشخص متصف بذلك، فلم يتوقف عمر في العمل بتلك العلامة والدلالة التي ذكرها رسول الله (ص)، بل بادر إلى العمل بها، واجتمع به وسأله الاستغفار، وجزم أنه المشار إليه في الحديث النبوي، لما علم تلك الصفات فيه، مع احتمال أن يتجدد في وفود اليمن مستقبلاً مَنْ يكون بتلك الصفات، فإن قبيلة مراد كبيرة، والتوالد فيها كثير، وعين ما ذكرتموه من الاحتمال موجود. وكذلك قضية الخوارج لما وصفهم رسول الله (ص) بصفات ورتَّب عليها حكمهم، ثم بعد ذلك لما وجدها علي (ع) موجودة في أولئك في واقعة حروراء والنهروان جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبوي، وقاتلهم وقتلهم، فعمل بالدلالة عند وجود الصفة مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم. وأمثال هذه الدلالة والعمل بها مع قيام الاحتمال كثيرة، فعلم أن الدلالة الراجحة لا تُتْرَك لاحتمال المرجوح».

«ونزيده بياناً وتقريراً فنقول: لزومُ ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لمَنْ وُجِدتْ فيه أمرٌ يتعين العمل فيه والمصير إليه، فمن تركه وقال: بأن صاحب الصفات المراد بإثبات الحكم له ليس هو هذا بل شخص غيره سيأتي؛ فقد عدل عن النهج القويم ووقف نفسه موقف المليم».

«ويدل على ذلك أن الله عز وجل لما أنزل في التوراة على موسى أنه يبعث النبي العربي في آخر الزمان خاتم الأنبياء؛ ونعته بأوصافه؛ وجعلها علامة ودلالة على إثبات حكم النبوة له؛ وصار قوم موسى (ع) يذكرونه بصفاته ويعلمون أنه يُبْعَث، فلما قرب زمانُ ظهورِه وبعثِه صاروا يهددون المشركين به، ويقولون: سيظهر نبيٌّ نَعْتُه كَذا وصفته كذا ونستعين به على قتالكم، فلما بُعِث (ص) وجدوا العلامات والصفات بأسرها التي جُعِلتْ دلالةً على نبوته أنكروه وقالوا: ليس هذا هو بل هو غيره وسيأتي، فلما جنحوا إلى الاحتمال؛ وأعرضوا عن العمل بالدلالة الموجودة في الحال، أنكر الله تعالى عليهم كونهم تركوا العمل بالدلالة التي ذكرها لهم في التوراة وجنحوا إلى الاحتمال».

«وهذه القصة من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على أنه يتعين العمل بالدلالة عند وجودها وإثبات الحكم لمن وُجِدت تلك الأدلة فيه. فإذا كانت الصفات التي هي علامة ودلالة لثبوت تلك الأحكام المذكورة موجودة في الحجة الخلف الصالح محمد (ع) تعيَّن إثبات كونه المهدي المشار إليه؛ من غير جنوح إلى الاحتمال بتجدد غيره في الاستقبال»[1].

❀ ❀ ❀

ونورد فيما يأتي في ختام الكلام عن الأحاديث النبوية المبشرة بمحمد بن الحسن المهدي (ع)، هاتين الجريدتين الدالتين ـ أوضح الدلالة ـ على صحة أسانيد تلك الأحاديث وكثرة رواتها وتواتر معناها وجلاء المراد منها لمن طلب لباب الحقيقة وألقى السمع وهو شهيد.

(١) مطالب السؤول: ٢/ ٨١ ـ ٨٥.

الجريدة الأولى: في ذكر بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (ع):

وهم فيما وقفتُ عليه من رواياتهم:

١ ـ معاذ بن جبل (ت١٨هـ).

٢ ـ قتادة بن النعمان (ت٢٣هـ).

٣ ـ عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ).

٤ ـ أبو ذر الغفاري (ت٣٢هـ).

٥ ـ عبد الرحمن بن عوف (ت٣٢هـ).

٦ ـ عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ).

٧ ـ العباس بن عبد المطلب (ت٣٢هـ).

٨ ـ كعب الأحبار (ت٣٢هـ).

٩ ـ عثمان بن عفان (ت٣٥هـ).

١٠ ـ سلمان الفارسي (ت٣٦هـ).

١١ ـ طلحة بن عبيدالله (ت٣٦هـ).

١٢ ـ عمار بن ياسر (ت٣٧هـ).

١٣ ـ علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ).

١٤ ـ تميم الداري (ت٤٠هـ).

١٥ ـ زيد بن ثابت (ت٤٥هـ).

١٦ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب (ت٤٥هـ).

١٧ ـ الحسن بن علي بن أبي طالب (ت٥٠هـ).

١٨ ـ عبد الرحمن بن سمرة (ت٥٠هـ).

١٩ ـ مجمع بن جارية (ت نحو ٥٠هـ).

٢٠ ـ عمران بن حصين (ت٥٢هـ).

٢١ ـ أبو أيوب الأنصاري (ت٥٢هـ).

٢٢ ـ عائشة بنت أبي بكر (ت٥٨هـ).

٢٣ ـ أبو هريرة (ت٥٩هـ).

٢٤ ـ الحسين بن علي بن أبي طالب (ت٦١هـ).

٢٥ ـ أم سلمة (ت٦٢هـ).

٢٦ ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت٦٥هـ).

٢٧ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص (ت٦٥هـ).

٢٨ ـ عبد الله بن عباس (ت٦٨هـ).

٢٩ ـ زيد بن أرقم (ت٦٨هـ).

٣٠ ـ عوف بن مالك (ت٧٣هـ).

٣١ ـ أبو سعيد الخدري (ت٧٤هـ).

٣٢ ـ جابر بن سمرة (ت٧٤هـ).

٣٣ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري (ت٧٨هـ).

٣٤ ـ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت٨٠هـ).

٣٥ ـ أبو أمامة الباهلي (ت٨١هـ).

٣٦ ـ بشر بن المنذر بن الجارود (ت٨٣هـ).

٣٧ ـ عبد الله بن الحارث بن حمزة الزبيدي (ت٨٦هـ).

٣٨ ـ سهل بن سعد الساعدي (ت٩١هـ).

٣٩ ـ أنس بن مالك (ت٩٣هـ).

٤٠ ـ أبو الطفيل (ت١٠٠هـ).

٤١ ـ شهر بن حوشب (ت١٠٠).

الجريدة الثانية: في ذكر المحدِّثين الذين نصوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرَّحوا بصحتها من غير الشيعة الإمامية:

١ ـ الترمذي (ت٢٩٧هـ).

٢ ـ العقيلي (ت٣٢٢هـ).

٣ ـ البربهاري (ت٣٢٩هـ).

٤ ـ محمد بن الحسين الآبري (ت٣٦٣هـ).

٥ ـ الحاكم (ت٤٠٥هـ).

٦ ـ البيهقي (ت٤٥٨هـ).

٧ ـ البغوي (ت٥١٠هـ أو ٥١٦).

٨ ـ ابن الأثير (ت٦٠٦هـ).

٩ ـ القرطبي المالكي (ت٦٧١هـ).

١٠ ـ ابن منظور (ت٧١١هـ).

١٢ ـ المزي (ت٧٤٢هـ).

١٣ ـ الذهبي (ت٧٤٨هـ).

١٤ ـ ابن القيم (ت٧٥١هـ).

١٥ ـ ابن كثير (ت٧٧٤هـ).

١٦ ـ التفتازاني (ت٧٩٣هـ).

١٧ ـ نور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ).

١٨ ـ الجزري الشافعي (ت٨٣٣هـ).

١٩ ـ أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت٨٤٠هـ).

٢٠ ـ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ).

٢١ ـ شمس الدين السخاوي (ت٩٠٢هـ).

٢٢ ـ السيوطي (ت٩١١هـ).

٢٣ ـ الشعراني (ت٩٧٣هـ).

٢٤ ـ ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ).

٢٥ ـ المتَّقي الهندي (ت٩٧٥هـ).

٢٦ ـ الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي (ت١٠٣٣هـ).

٢٧ ـ البرزنجي (ت١١٠٣هـ).

٢٨ ـ الزرقاني المالكي (ت١١٢٢هـ).

٢٩ ـ الشيخ محمد بن قاسم بن محمد جسوس المالكي (ت١١٨٢هـ).

٣٠ ـ أبو العلاء العراقي (ت١١٨٣هـ).

٣١ ـ السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ).

٣٢ ـ الزبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ).

٣٣ ـ الشيخ الصبَّان (ت١٢٠٦هـ).

٣٤ ـ السويدي (ت١٢٤٦هـ).

٣٥ ـ الشوكاني الزيدي (ت١٢٥٠هـ).

٣٦ ـ الشبلنجي (ت١٢٩١هـ).

٣٧ ـ أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية (ت١٣٠٤هـ).

وعدد غير قليل من أعلام القرن الرابع عشر الهجري(*).

ومما ينبغي أن يضاف إلى هذه الجريدة المعنية بسرد أسماء المحدثين الرواة لأحاديث المهدي (ع) ذكر أولئك الباحثين الذين ألَّفوا الكتب والرسائل في هذا الموضوع من غير الشيعة الإمامية، ويحضرني منهم على سبيل المثال لا الحصر:

* عباد بن يعقوب الرواجني المتوفى سنة ٢٥٠هـ، له كتاب «أخبار المهدي».

* أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، له كتاب «أربعين حديثاً في أمر المهدي» وكتاب «مناقب المهدي» وكتاب «نعت المهدي».

* محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، له كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» وهو مطبوع.

(*) يراجع في تفاصيل نصوص هؤلاء المحدثين وأسماء من لم نذكر منهم ـ وهم غير قليل ـ، بحث السيد ثامر العميدي المنشور في مجلة (تراثنا) البيروتية، العدد ٤٣ ـ ٤٤، السنة ١١، ص١٧ ـ ٢٦، ١٤١٦هـ. ومجلة الجامعة الإسلامية الصادرة في المدينة المنورة، العدد الثالث/ السنة الأولى.

يوسف بن يحيى السلمي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، له كتاب «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر» وهو مطبوع.

* ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، له كتاب «المهدي».
* ابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢هـ، له كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر».
* جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، له كتاب «العرف الوردي في أخبار المهدي»، وهو مطبوع، وكتاب «علامات المهدي».
* ابن كمال باشا الحنفي المتوفى سنة ٩٤٠هـ، له كتاب «تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان».
* محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، له كتاب «المُهْدي إلى ما ورد في المهدي».
* علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، له كتاب «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» وكتاب «تلخيص البيان في أخبار مهدي آخر الزمان».
* علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ، له كتاب «الردُّ على مَنْ حكم وقضى أن المهدي جاء ومضى» وكتاب «المشرب الوردي في أخبار المهدي».
* مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، له كتاب «فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر».
* القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، له كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح».

* رشيد الراشد التاذفي الحلبي المعاصر، له كتاب «تنوير الرجال في ظهور المهدي والدجال»، وهو مطبوع.

❀ ❀ ❀

كذلك ينبغي أن يضاف إلى جميع ما تقدم: أسماء أولئك الشعراء الذين تضمنت قصائدهم ذكر انتظار المهدي (ع) والتطلع إليه والترقب ليومه والإقرار بحتمية ذلك وثبوته، ومنهم على سبيل الاستشهاد لا الاستيعاب:

* الكميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦هـ، وفي ذلك يقول:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديُّكم الثاني[١]

* إسماعيل بن محمد الحميري المتوفى سنة ١٧٣هـ، وفي ذلك يقول:

بأن ولي الأمر والقائم الذي تطلَّع نفسي نحوه بتطرُّبِ
له غيبة لا بد من أن يغيبها فصلى عليه اللَّه من متغيّبِ
فيمكث حيناً ثم يظهر حينه فيملأ عدلاً كلَّ شرق ومغربِ[٢]

* دعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ، في ذلك يقول:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم اللَّه والبركاتِ
يميِّز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقماتِ[٣]

* مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨هـ، وفي ذلك يقول:

---

(١) الغدير: ٢/ ١٨٤ ـ ط النجف ١٣٦٥هـ ـ.
(٢) الغدير: ٢/ ٢٢٣.
(٣) ديوان دعبل: ٤٢.

عسى الدهر يشفي غداً من عندك قلب مغيظٍ بهم مكمدِ
عسى سطوة الحق تعلو المحال عسى يغلب النقص بالسؤددِ
بسمعي لقائمكم دعوةٌ يلبّي لها كلُّ مستنجدِ[١]

* ابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، وفي ذلك يقول في مداعبةٍ له على سبيل الإنكار:

والبيتُ آلَ أمية الـ ـطُهْرَ الميامين الغُرَرْ
وأكذِّب الراوي وأظْـ ـعَنُ في ظهور المنتظرْ[٢]

* محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، وفي ذلك يقول:

وقد قال رسولُ اللَّـ ـهِ قولاً قد رويناهُ

إلى أن قال:

وقد أبداه بالنسبـ ـةِ والوصفِ وسمّاهُ
ويكفي قوله: (منّي) لاشراقِ محيَّاهُ
ومن بضعته الزهرا ءِ مرساه ومسراهُ
فمن قالوا هو المهديُ ما مانوا بما فاهوا[٣]

* ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وفي ذلك يقول:

ولقد علمتُ بأنه لا بدَّ من مهديكم وليومه أتوقَّعُ
يحميه من جند الإله كتائب كاليم أقبل زاخراً يتدفعُ
فيها لآل أبي الحديد صوارمٌ مشهورة ورماح خطٍّ شُرَّعُ[٤]

(١) ديوان مهيار: ١/ ٣٠٠.
(٢) الغدير: ٤/ ٢٧٩.
(٣) مطالب السؤول: ٢/ ٧٩.
(٤) شرح القصائد السبع العلويات: ٧٠.

* شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، وفي ذلك يقول في أرجوزته التي يعدِّد فيها أسماء الأئمة الاثني عشر:

والعسكريُّ الحسن المطهَّرُ محمدُ المهديُّ سوف يظهرُ[١]

* عبد الله بن علوي الحداد التريمي الشافعي المتوفى سنة ١١٣٢هـ، وفي ذلك يقول:

محمدٌ المهديّ خليفة ربِّنا إمام الهدى بالقسط قامت ممالكُهْ
كأني به بين المقام وركنها يبايعه من كل حزبٍ مباركُهْ

ويقول في أخرى:

ومنّا إمام حان حينُ خروجِهِ يقوم بأمر اللَّه خير قيام
فيملأ بالحقِّ والعدل والهدى كما مُلئتْ جوراً بظلم طغامِ[٢]

(١) الأئمة الاثنا عشر: ١١٨.

(٢) ديوان عبدالله بن علوي المسمى (الدر المنظوم): ١٨ و١٤٦.

غيبة الإمام المهديّ (ع)
بين المُثْبِتين والمُنْكِرين

كانت خلاصة الفصلين المتقدمين ـ كما قضت النصوص المتواترة ودلَّت الروايات المتظافرة ـ أن مسألة «المهدية» في جذر فكرتها وأساس منطلقها عقيدة نابعة من صميم التشريع الإسلامي، وقد بشَّر بها الرسول الأعظم (ص) فيما أُثِر عنه منقولاً على لسان رجال الحديث طبقة بعد طبقة على مرِّ الأجيال. كما ثبت أيضاً بما يأبى الشك والتردد أن المهدي الذي وردت فيه تلك الأحاديث هو محمد بن الحسن العسكري بالذات والتعيين، وأنه ولد بسرَّ من رأى، وتداول خبر ولادته يومها جميع الخاصة من أصحاب أبيه ثم اشتهر بعد ذلك في مصادر التاريخ.

ولا بد لنا هنا ـ وبعد الإقرار بمجموع ما سلف بيانه ـ أن نتوقف قليلاً مدققين وممعنين فيما يترتب على اليقين بولادة محمد بن الحسن وثبوت كونه المهدي المنتظر، وأن نتدرج في البحث في ضوء التساؤلات المتسلسلة الآتية:

١ ـ هل غاب المهدي؟

٢ ـ وما هو المراد بهذه الغيبة؟

٣ ـ وعلى فرض صحة هذه الغيبة هل يمكن أن يبقى الإنسان حيّاً طيلة هذه القرون؟

ويجدر بنا ـ وقد بلغنا هذه المرحلة الرئيسة والحساسة من البحث ـ أن نطرح التمهيد الآتي قبل الدخول في صلب الموضوع، ليكون عوناً لنا على استخلاص النتائج السليمة المقنعة ودحض الشبهات السطحية الطارئة:

من المعلوم المسلَّم لدى الجميع أن الإسلام قد جعل العقل أساس العقيدة ومرتكز الإيمان، ونهى عن التقليد الأعمى والتبعية العشواء، وفرض ضرورة استناد أصول الاعتقاد في مجملها إلى العقل معتمدة عليه ومستمدة قوتها وصلابتها منه وحده، دونما مشاركة شيء آخر من هوى النفس واندفاع العاطفة واتباع الآخرين بلا حجة.

وهكذا كان العقل هو القائد إلى الإيمان بالله تعالى وهو المرشد نحو الاعتقاد الثابت بوجوده ووحدانيته، ثم كان العقل ـ أيضاً ـ هو الدليل على ضرورة النبوة والإمامة والمعاد تفريعاً على الإيمان بالله عز وجل. أما المفردات الأخرى من أحكام الشرع ومسائل الدين فليست بحاجة إلى دليل عقلي خاص بكل مفردة منها على حدة، وليس لزاماً أن يقام عليها مثل هذا الدليل بعد أن كان الأساس قائماً عليه، بل يكفي في وجوب الإقرار بها مجرد ورود النص عليها بالطرق الشرعية المقررة للتعبد بالنصوص. ومن هنا آمن المسلمون ـ بصدق ويقين ـ بمسألة وجود الملائكة مثلاً أو تكلُّم عيسى (ع) في المهد أو تسبيح الحصى بيد النبي (ص) لورود النص على ذلك إما في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة المتواترة.

وإننا عندما نبحث موضوع المهدي وغيبته إنما نبحثه مع المسلمين المعترفين بأصول الإسلام وأسس التشريع، دون غيرهم من منكري وجود اللَّه تعالى أو غير المقرين بالإسلام، وذلك لأن المسألة معتمدة في

جوهرها على الاستدلال بالقرآن المجيد والسنة الشريفة؛ فلا يصح الكلام فيها مع من لا يؤمن بالكتاب والسنة.

وبتعبير آخر: إننا نبحث هذا الموضوع على أساس الاعتقاد الديني المستند إلى الأدلة الشرعية التي أجمع المسلمون على وجوب العمل بها، ولا ندَّعي أنه من قبيل العملية الرياضية البديهية كحاصل ضرب ٢ × ٢؛ أو من قبيل القواعد الفلسفية التي لا مجال فيها للأخذ والرد كبطلان الدور والتسلسل.

وإذن. ينبغي أن يكون القارىء الكريم على علم بأننا سنبحث هذه المسألة بكل جوانبها في ضوء الكتاب والسنة، لأنهما مصدر التشريع وباب المعرفة عند المسلمين، وإن إنكارهما والخروج عليهما إنكار للإسلام وخروج على أحكامه وتكاليفه[١].

وإذا اتضح هذا التمهيد ـ وهو واضح جداً ـ صحَّ منَّا تفريعاً عليه أن نقول:

إن النصوص النبوية الشريفة التي رواها حفاظ الحديث ـ ومنهم من اتفق المسلمون على صحة ما حدَّثوا به في ذلك ـ تُكرِّر ذكر كلمة «الغيبة» كثيراً[٢]، وفي بعضها: «تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم»[٣]، وفي أخرى: «يغيب عن أوليائه غيبة، لا يثبت على القول

(١) من الغريب جداً في هذا المقام ما يرويه الدكتور أحمد أمين في كتابه المهدي والمهدوية: ١٠٨ من «أن مذهب ابن خلدون قبول الخبر الواحد إذا أيده حكم العقل ورفض الأحاديث الكثيرة إذا لم يؤيدها العقل»، وأنه إنما أنكر المهدي والمهدوية لأن الأحاديث المعنية بذلك مخالفة لحكم عقله!!!

(٢) يراجع في هذه النصوص كتاب البيان للحافظ الكنجي الشافعي: ١٠٢ ـ ١١٣.

(٣) ينابيع المودة: ٤٨٨.

بإمامته إلا من امتحن اللّه قلبه للإيمان»[١]، وفي حديث ابن عباس: «يبعث المهدي بعد إياس وحتى يقول الناس: لا مهدي»[٢]، وفي حديثه الآخر ـ وهو طويل جاء فيه ـ نقلاً عن رسول الله (ص): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً أن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله؛ وللقائم من ولدك غيبة؟، قال: اي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ثم قال: يا جابر، إن هذا أمر من أمر الله وسرٌّ من سرِّ الله، فإياك والشك فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر»[٣].

إن كلمة «الغيبة» كما وردت في الأحاديث المارة الذكرو كما يقتضيها سياق الكلام لا تعني إحياء المهدي بعد موته وإعادته إلى الدنيا بعد وفاته، وإنما هي ناظرة إلى اختفائه واحتجابه عن الناس وعدم رؤيتهم إياه ومشاهدتهم له، وهذا هو المتبادر إلى الأذهان عند قراءة تلك الروايات والوقوف على كلمة (الغيبة) المتكررة فيها.

ومما يزيد هذا المعنى تأكيداً ما ورد في الحديث النبوي الذي اتفق المسلمون على روايته عن الرسول الأعظم (ص): «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» أو «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[٤]، إذ هو صريح في ضرورة وجود إمام حيّ في كل عصر وحين بما يشمل حالتي الغيبة والحضور.

---

(١) المصدر نفسه: ٤٩٥.

(٢) الحاوي: ٢/ ١٥٢.

(٣) ينابيع المودة: ٤٤٨.

(٤) يراجع في هذا الحديث: صحيح مسلم: ٦/ ٢٢ ومسند أحمد: ٣/ ٤٤٦ و٤/ ٩٦ والكافي: ١/ ٣٧٦ والمعجم الكبير: ١٩/ ٣٨٨ ومجمع الزوائد: ٥/ ٢١٨ و٢٢٤ و٢٢٥.

وعندما تثبت ولادة محمد بن الحسن ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه تكون كلمة «غيبته» الواردة في النصوص النبوية وضرورة وجود الإمام في كل زمان دليلين جليين على استمرار حياة هذا الرجل طيلة تلك القرون؛ وعلى رفض جميع ما يقال في هذا الصدد من تردد واستبعاد.

والقول بوفاة المهدي بعد ثبوت ولادته ـ مع كونه مخالفاً لأحاديث الغيبة وحديث استمرار الإمامة ـ لم يشتهر في مصادر التاريخ ولم يعرف خبره على ألسن المؤلفين. متى مات... وفي أي يوم وشهر وسنة... ومتى شُيِّع ومَنْ حضر تشييعه... وأين دُفن وفي أي بلد... ولماذا لم تعلن الجهات الحاكمة تلك الوفاة لتتخلص من تمسُّك شيعته بالإيمان بوجوده؟؟

إن هذا كله يؤكد أن المهدي حي لم يمت، وأنه اختفى عن أعين أعدائه حفاظاً على حياته ونجاة بنفسه.

وكان اختفاؤه هذا على مرحلتين:

الأولى ـ: اختفاؤه عن أعين عامة الناس حينما هجم جيش الخليفة على دار الإمام العسكري (ع) إثر وفاته. وكان يتصل خلال هذا الاختفاء المسمى في المصادر بـ «الغيبة الصغرى» أو «القُصْرى» بالثقات المخصوصين من وكلائه وسفرائه وأصحابه، ويتسلم منهم رسائل شيعته وأسئلتهم، ويمدهم بالأجوبة والردود عليها لإيصالها للسائلين والمستفهمين[1].

(١) يراجع في مكاتبات الإمام المهدي (ع) وتوقيعاته وأجوبته على ما يرده من أسئلة شيعته في الفقه خاصة: كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الإمامية، وفي مكاتباته وتوقيعاته الأخرى غير الفقهية الكتب الآتية:
الكافي: ١/٥١٩ و٥٢٠ و٥٢٢ و٥٢٤. =

ونورد فيما يأتي من أمثلة تلك الأجوبة والردود ما أجاب به (ع) محمد بن علي بن هلال الكرخي على كتابه الذي ذكر فيه الغلاة وأقاويلهم الشاذة في اعتقادهم بالأئمة، وجاء في بعض ذلك الجواب ما لفظه:

«يا محمد بن علي، تعالى الله عز وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، لسنا نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين؛ ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهما ممن مضى من الأئمة إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري؛ عبيد الله عز وجل...».

«يا محمد بن علي، قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم... فأُشهد الله الذي لا إله إلا هو ـ وكفى به شهيداً ـ ورسوله محمداً (ص) وملائكته وأنبياءه وأولياءه؛ وأشهدك وأشهد كلَّ من سمع كتابي هذا أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إنَّا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يحلّنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عما فسّرتُه لك وبيَّنتُه في صدر كتابي...».

= الإرشاد: ٣٧٨ ـ ٣٨٣.
إعلام الورى: ٢/ ٢٦٢ ـ ٢٧٥.
الاحتجاج: ٢/ ٥٣٦ ـ ٥٤٦ و٥٤٩ ـ ٥٥٠ و٥٥٨ ـ ٥٦٠ و٥٦٣ ـ ٥٩٠ و٥٩٧ ـ ٦٠٣.
الخرائج والجرائح: ٣/ ١١١٣ ـ ١١١٥.
كشف الغمة: ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥١ و٢٥٣ ـ ٢٥٤ و٣٣٩.
بحار الأنوار: ٥١/ ٣٠٣ و٣٠٦ و٣٠٨ و٥٣/ ١٥٠ ـ ١٩٧.

«وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتمه من أحدٍ من مواليَّ وشيعتي، حتى يظهر على هذا التوقيع الكلُّ، لعل الله عز وجل يتلافاهم فيرجعون إلى دين الله الحق وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره»[١].

ومن أمثلة ذلك أيضاً جوابه (ع) على رسالة إسحاق بن يعقوب علي يد الوكيل الثاني محمد بن عثمان العمري؛ وقد سأل فيها عدة مسائل ومنها ما يتعلق بجعفر بن الإمام الهادي (ع) في ادعائه الإمامة وإنكاره وجود ابن أخيه، وكان مما جاء في هذا الجواب:

«أما ما سألتَ عنه ـ أرشدك الله وثبَّتك ـ من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمنا؛ فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحدٍ قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف (ع)»[٢].

الثانية ـ: اختفاؤه الكامل عن كل الناس بحيث لا يتصل به أحدٌ مطلقاً[٣]، وهو الاختفاء المسمى بـ«الغيبة الكبرى» أو «الطُّولى» في المصادر القديمة، ويقوم في آخرها بالسيف ليطهر الأرض من الجور والظلم، ويتحقق وعد الله تعالى بقوله في كتابه المجيد: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وقوله

(١) الاحتجاج: ٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١.
(٢) الاحتجاج: ٢/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤ وبحار الأنوار: ٥٠/ ٢٢٧، و٥٣/ ١٨٠.
(٣) ينسب الدكتور أحمد أمين إلى الشيعة اعتقادهم في المهدي «أنه وهو في استتاره يحرك أتباعه ليزيلوا المظالم» وأنه «يعيش في الخفاء ويوحي من وراء ستاربالأوامر والنواهي» المهدي والمهدوية: ١٠٩ و١١٩.
أقول: كل كتب الشيعة تصرح بأن المهدي غائب لا يتصل به أحد، فأين الصدق في القول وأين الأمانة في النقل؟

عـــز وجـــل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[1].

❀ ❀ ❀

وكان الشيخ الطوسي قد توقف لأكثر من مرة في بحثه المعنيّ بالغيبة وشؤونها عند سبب الغيبة والاستتار وعلة ذلك فقال في بعض ما أفاد به:

«مما يُقْطع على أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه من القتل بإخافة الظالمين إياه؛ ومنعهم إياه من التصرف فيما جُعل إليه التدبير والتصرف فيه... وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره، كما استتر النبي (ص) تارة في الشِّعب وأخرى في الغار، ولا وجه لذلك إلا الخوف من المصارِّ الواصلة إليه».

«فأما التفرقة بطول الغيبة وقصرها فغير صحيحة، لأنه لا فرق في ذلك بين القصير المنقطع والطويل الممتد، لأنه إذا لم يكن في الاستتار لائمة على المستتر إذا أُحْوِج إليه... جاز أن يتطاول سبب الاستتار كما جاز أن تقصر أيامه».

«فإن قيل: إذا كان الخوف أحوجه إلى الاستتار فقد كان آباؤه (ع) عندكم على تقيَّة وخوف من أعدائهم فكيف لم يستتروا؟ قلنا: ما كان على آبائه (ع) خوف من أعدائهم مع لزوم التقية والعدول عن التظاهر بالإمامة... وإمام الزمان (ع) كلُّ الخوف عليه لأنه يظهر بالسيف ويدعو إلى نفسه ويجاهد من خالفه عليه... على أن آباءه (ع) متى قُتِلوا أو ماتوا كان هناك من يقوم مقامهم ويسدُّ مسدَّهم... وصاحب الأمر (ع)

(١) البيان: ١٠٩ والفصول المهمة: ٢٧٣.

بالعكس من ذلك، لأن من المعلوم أنه لا يقوم أحد مقامه ولا يسد مسدَّه، فبان الفرق بين الأمرين»[١].

ثم كرر الطوسي بيان سبب الغيبة والامتناع من الظهور فقال شارحاً وموضحاً: «لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار».

«إن قيل: أليس آباؤه (ع) كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟ قلنا: آباؤه (ع) حالهم بخلاف حاله، لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول... وليس يضر السلطان اعتقادُ من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم ولم يخافوا جانبهم... وليس كذلك صاحب الزمان (ع)، لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف ويزيل الممالك ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل ويميت الجور، فمَنْ هذه صفته يُخاف جانبه وتُتَّقى فورته، فيُتَتَبَّع ويُرصَد وتوضع العيون عليه... فيخاف حينئذٍ ويُحْوَج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو».

«وأيضاً: فآباؤه (ع) إنما ظهروا لأنه كان من المعلوم أنه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسد مسدَّه من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان (ع) لأن المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته وفارق حاله حال آبائه (ع)[٢].

❀ ❀ ❀

(١) غيبة الطوسي: ٩٠ ـ ٩٣.
(٢) غيبة الطوسي: ٣٢٩ ـ ٣٣١.

وعندما نصل إلى هذه المرحلة من البحث ـ بعد ثبوت ما تقدم بيانه من وجود المهدي واختفائه واستمرار حياته إلى اليوم ـ يقفز إلى الذهن سؤال رئيس وملحٌّ يدور حول إمكان بقاء الإنسان على قيد الحياة طوال هذه السنين وهل يقر العقل البشري بذلك؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نذكِّر القارىء بما سلف منَّا ذكره من أن حقائق الشرع إذا ثبتت بالنقل الصحيح فإننا ـ بحكم كوننا مسلمين ـ ملزمون بالتعبد بذلك وقبول ما ورد النص عليه ولو لم تهتد عقولنا لفهم فلسفته وإدراك سرِّه، وليس يسوغ لنا إنكار شيء من تكاليف الدين الأساسية بدعوى الجهل بوجه الحكمة والعلة فيه؛ وبحجة عدم فهم السر أو عدم الاقتناع بالأمر.

أما طول العمر وامتداد الحياة مئات من السنين فليس مستحيلاً كما يتصور بعض المتصورين، بل روى المؤرخون وقوع ذلك كثيراً في تاريخ البشرية الطويل.

فآدم (ع) مثلاً عمَّر ألف سنة.

ولقمان صاحب النسور عمَّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.

وسلمان الفارسي عمَّر طويلاً في الأرض، وادعى بعض المؤرخين أنه عاصر المسيح (ع) وأدرك الإسلام وتوفي في أيام الخليفة عمر بن الخطاب.

إلى كثير وكثير ممن عمَّر مئات السنين وروى خبرهم المؤرخون وبخاصة السجستاني الذي جمع أخبارهم في كتاب سمَّاه (المعمَّرون)، وهو مطبوع معروف.

هذا من ناحية الإثبات التاريخي.

وأما القرآن الكريم ـ وهو أصدق الكلام وأقوى الحجج ـ فقد قال الله تعالى فيه وقوله الحق:

إن نوحاً النبي (ع) لبث في قومه يدعوهم إلى الله (٩٥٠) عاماً، والله أعلم بما عاش قبل البعثة والدعوة؛ وبعد الطوفان.

وإن يونس النبي (ع) بقي حياً في بطن الحوت مدة من الزمن، ولولا فضل الله عليه لبقي في بطنه إلى يوم القيامة: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾د ومعنى هذا اللبث بقاؤه حياً إلى يوم القيامة وبقاء الحوت حياً معه خلال هذه الآماد المتمادية.

وإن أهل الكهف ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾، ولا نعلم كم عاشوا قبل دخولهم في الكهف وبعد خروجهم منه.

وإن (الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال: كم لبثت؟ قال: لبثتُ يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثتَ مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وانظر لى حمارك)، ولعل بقاء الطعام والشراب مائة عام من دون أن يفسد أو يأسن أعجب من طول عمر الإنسان وأغرب[1].

هذا كله بالإضافة إلى ما تناقله مؤلفو السِّيرَ ورواه رجال الحديث

(١) ومع كل هذه النصوص القرآنية الصريحة فإن الدكتور أحمد أمين يرى أنه لا يمكن للإنسان أن «يختفي ويبقى مختفياً مئات السنين من غير أن يجري الله عليه حكم الموت»، بل أن ذلك في رأيه «لا يجوز إلا على السذَّج الذين فقدوا عقولهم» المهدي والمهدوية: ٩٦.

فهل يرى الدكتور في التصديق بعدم إجراء الموت على نوح ويونس والحوت وأهل الكهف مئات من السنين دليلاً على السذاجة وفقدان العقل؟.

وتلقوه بالإقرار والقبول من حياة العبد الصالح الخضر من قبل زمان النبي موسى (ع) وإلى آخر الزمان.

فهل نصدِّق بكل ذلك الذي نطق به القرآن واستفاضت به السنة أم نكفر به؟، وهل يصح منَّا إنكاره ورفضه بمجرد ادعاء أن العقل البشري بمستواه الحاضر لم يدرك بعدُ أسرار هذه الأمور ولم يكشف خباياها المجهولة؟

إن موضوع غيبة المهدي قائم على هذا الأساس بالضبط، ولا بد لنا من القول باستمرار حياته جرياً مع تلك النصوص وتصديقاً للنبي (ص) الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وتنفيذاً لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، إذ يكون الإيمان بذلك مساوقاً للإيمان بعمر نوح ولبث يونس في بطن الحوت وولادة عيسى من غير أبٍ وبقاء الطعام والشراب مائة عام دون أن يصيبه التلف.

وإلى هذا المعنى يشير الحافظ الكنجي وهو يتحدث عن المهدي: «ولا امتناع في بقائه، بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء الله تعالى؛ وبقاء الدجال وإبليس الملعونين من أعداء الله تعالى. وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة وقد اتفقوا عليه، ثم أنكروا جواز بقاء المهدي»[١].

ويزيد الشيخ الطوسي الموضوع بياناً فيقول: «فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الإنسان فليس مما لا بد منه... وهو تعالى قادر أن لا يفعل ما أجرى العادة بفعله... وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل»[٢].

---

(١) البيان: ١٠٢.

(٢) الغيبة: ٨١٢٦

ويقول الوزير الإربلي في ذلك: «إذا ثبت أن الله سبحانه قد عمَّر خلقاً من البشر ما ذكرناه من الأعمار ـ وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء؛ وبعضهم غير حجة ـ ولم يكن ذلك محالاً في قدرته؛ ولا منكراً في حكمته؛ ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار؛ معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي ينكر من عمر صاحب الزمان أن يتطاول إلى غاية عمر بعض مَنْ سمَّيناه»[1].

ويقول محمد بن طلحة الشافعي: «مَنْ غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبتُه وانقطاعُ خبره الحكمَ بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وألطافه بعباده عظيمة... وليس ببدعٍ ولا مستغربٍ تعميرُ بعض عباد الله المخلصين؛ ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مدَّ الله تعالى أعمار جمعٍ كثير من خلقه، من أصفيائه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه: فمن الأصفياء عيسى (ع)؛ ومنهم الخضر؛ وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم... ومن الأعداء المطرودين إبليس والدجال ومن غيرهم كعاد الأولى... وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه. فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به»[2].

❀ ❀ ❀

وإذا كان النص القرآني والحديث الشريف قد دلاّ على إمكان بقاء الإنسان حيّاً أكثر من ألف عام وعلى وقوع ذلك في الأمم السابقة؛ فلا يصح عدُّه شيئاً فوق العلم وفوق العقل، بل أن العلم الحديث يصرِّح بأن

(١) كشف الغمة: ٣/ ٣٥٥.

(٢) مطالب السؤول: ٢/ ٨٦ ـ ٨٧.

بإمكان الإنسان البقاء آلاف السنين لو تهيأ له من وسائل المحافظة على القوى البدنية ما يساعده على البقاء.

و«إن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إن كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له؛ وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان. إن الإنسان لا يموت لأنه عمَّر كذا من السنين سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر، بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها، فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين»[١].

وإن «جان روستان يعتقد بضوء الاكتشافات والتجارب العلمية أن اتباع طريقة حفظ الإنسان لم يعد يبدو مستحيلاً، فإن الاكتشافات التي سجلها عدد من مشاهير العلماء منذ حوالي قرن تترك بعض الأمل في إمكانية التوصل إلى مركب متناسق يساعد في تحقيق المزيد من التقدم، اعتماداً على تجارب علمية سجلها براون سيكوارد؛ والكسي كاريل؛ وفورنوف؛ وميتشبنكوف؛ وبوغو مولتيز؛ وفيلاتوف؛ وغيرهم. أما روبرت اينتنجر الذي وضع أخيراً كتاباً قيماً بعنوان (الإنسان هل يمكن أن يخلد حياً) فقد خلق آمالاً جديدة إذ قال: إن الإنسان الذي يعيش ويتنفس الآن يملك حفظ البقاء من الناحية الفيزيائية»[٢].

هذا كله مضافاً إلى التصريحات الكثيرة بشأن إمكان المحافظة على

---

(١) مجلة المقتطف المصرية/ الجزء الثالث/ السنة التاسعة والخمسون.

(٢) جريدة الأنباء الجديدة البغدادية/ العدد ٤٠/ السنة الأولى/ ٢٧ آذار ١٩٦٥م.

حياة الإنسان ألوف السنين لو جُمِّد خلال هذه المدة، وذلك بسبب أن التجميد يحافظ على كل الخلايا الحية، ومتى ما أُريدت إعادة الحركة إلى الإنسان المجمَّد أُعْطِيَ من الحرارة ما يستلزمه الجسم منها فيعود كما كان نابضاً بالحركة والحيوية.

ومهما يكن من أمر، فإن تصريحات العلماء المعاصرين تؤكد إمكان طول عمر الإنسان، وأن هذه الإمكان هو الدافع الأكبر لهم على المثابرة في السعي لمعرفة الوسائل التي تحقق ذلك.

وإذا صح إمكان عمر الإنسان بحسب الاستعداد والطبيعة؛ كان ممكناً بل صحيحاً بالقطع واليقين طول عمر المهدي (ع) طيلة هذه القرون بحسب الطبيعة أولاً وبحسب ما يضاف إليها (ثانياً) من الإرادة الإلهية القائلة للشيء كن فيكون.

وبعد:

فإن البشرية التي تعيش اليوم أعقد ظروفها الفكرية والاجتماعية؛ وأخطر مراحلها الحضارية المجهولة العواقب؛ في أمسِّ الحاجة إلى هذا المصلح المنتظر الذي لا شك أنه سيطلع عليها قطعاً في يوم نرجو أن يكون قريباً، ليقود ركب الإنسانية إلى غايته المثلى ويحمله على انتهاج الصراط المستقيم.

وإن العقل البشري ـ المسلم منه وغير المسلم ـ ليتطلع إلى مثل هذا المنقذ المنتظر بمنتهى الشوق واللهفة، ويقر بحتميته وضرورته حتى لو لم يكن هناك نصٌّ عليه أو إشارة إليه. ولذلك بشَّر الفيلسوف البريطاني المشهور برناردشو بظهور هذا المنقذ بإيحاء من فكره الذاتي، وكتب في ذلك كتاباً سماه (الإنسان والسوبرمان)، ذهب فيه إلى بيان حاجة البشرية لهذا الإنسان المنتظر، ووصفه في تخيله الفلسفي بأنه «إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل»، وأنه «يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة».

ويقول عباس محمود العقاد معقباً على ذلك: «يلوح لنا أن

سوبرمان (شو) ليس بالمستحيل؛ وأن دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة»[١].

❀ ❀ ❀

ولن نجد في نهاية هذا الحديث مسكاً لختامه خيراً من أن نردِّد مخلصين؛ ونبتهل إلى الله تعالى صادقين، فنكرر ما جاء في الدعاء المأثور قائلين:

(اللهم إنَّا نشكو إليك فقد نبينا، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلِّ على محمد وآله وأعنَّا على ذلك بفتح منك تعجِّله، وبضرٍّ تكشفه، ونصر تعزُّه، وسلطان حق تظهره).

اللهم انصره نصراً عزيزاً، وافتح له فتحاً يسيراً، واجعلنا من أنصاره وأعوانه، إنك سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

(١) برناردشو لعباس محمود العقاد/ سلسلة اقرأ المصرية/ العدد ٨٩/ ص١٢٤ ـ ١٢٥.

مُلْحَقا الكتاب

الملحق الأول
سرداب الغَيْبة

الملحق الثاني
وكلاء الإمام المهدي (ع) في غيبته الصغرى

الملحق الأول

سرداب الغيبة

سرداب الغيبة مكان معروف ومَعْلَم بارز في العتبة المقدسة في سر من رأى، ويقع في الجهة الغربية من قبرَيْ الإمامين العسكريين (ع)، وقد استمد قدسيته وأهميته من علم الناس بكونه جزءاً من بيت الأئمة (ع) الذي عاشوا فيه أيام إقامتهم في سامراء وكان موضعاً لمبيتهم وعبادتهم في بعض الأحيان، ثم دفن الإمامان الهادي والعسكري في طرف من ذلك البيت، فكان هذا الجزء من الأماكن المباركة التي يذكر فيها اسم الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار.

وقد حاول بعض المؤلفين أن يخلق من هذا السرداب قصة أو أسطورة تقول: إنَّ جيش الخليفة العباسي لما هجم على دار الإمام الحسن العسكري بعد وفاته لإلقاء القبض على ولده المهدي، فرَّ هذا الولد من أيديهم وغاب عن الأعين بدخوله السرداب المشار إليه ولم يخرج منه إلى الآن. وكل ذلك من الملفَّق الموضوع الذي لا أصل له في المصادر الموثقة ولا يمت إلى واقع الحال بصلة.

وزعم ابن تيمية ـ وربما أشاع الأعداء ذلك قبل عصر ابن تيمية ـ أن المهدي «قد دخل السرداب سنة ستين ومائتين وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء»[1].

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ١٣١ و٤/ ٢١٢.

وكان الوزير الإربلي ـ وهو أسبق تاريخاً من ابن تيمية ـ قد ذكر هذا الزعم وقال: إن ادعاء كون المهدي في سرداب «قول عجيب وتصور غريب، فإن الذين أنكروا وجوده (ع) لا يوردون هذا، والذين يقولون بوجوده لا يقولون إنه في سرداب، بل يقولون: إنه حي موجود يحل ويرتحل ويطوف في الأرض»[١].

ثم استمر القائلون بذلك ممن انطلت عليهم تلك الأكاذيب في تكررا هذه المقولة حتى اليوم، وكان آخر من أوردها في أيامنا الحاضرة كاتب اسمه عبد المجيد الشاوي في مقاله المنشور في جريدة الزمان اللندنية تحت عنوان (على مائدة الزمان) تحدث فيه عن استعمالات كلمة (الزمان) في التراث العربي، وجاء فيه قوله:

«ومن أجل أن الزمان أشمل من الزمن وأغلب قالوا: المهدي المنتظر صاحب الزمان، وعلى جهة الاستطراد المفيد أقول لك: إن المهدي المنتظر صاحب الزمان هو من الحقائق المجمع عليها في ملّة الإسلام، سوى أن الشيعة تقول: إنه محمد بن الحسن العسكري دخل سرداب الدار في سامراء سنة ٢٦٥هـ وهو ابن تسع سنوات ولم يخرج منه، وهو حي إلى اليوم»[٢].

وما أدري كيف سوَّغ هذا الكاتب لنفسه أن ينسب إلى الشيعة هذا القول من دون إشارة إلى من قال ذلك من علمائهم ومؤلفيهم ومؤرخيهم؛ ومن دون ذكرٍ لمصدر هذا القول في الكتب والمؤلفات الشيعية، مما يدل على أنه اعتمد على الإشاعات التاريخية المغرضة بلا سندٍ أو تحقيق.

---

(١) كشف الغمة: ٣/٢٩٦.

(٢) جريدة الزمان: السنة السادسة/ العدد ١٥٢٥/٨ حزيران ٢٠٠٣م/ ص٩.

وقد استوفى أحد الباحثين المعاصرين ـ وهو المرحوم الشيخ المحلاتي ـ الكلام في هذا الموضوع استيفاء تاماً شاملاً في كتابه تاريخ سامراء، وبيَّن الحقيقة على نحوٍ صحيح وسليم من الشوائب والأباطيل، وأنا أروي فيما يأتي معظم كلامه بالنص لأنه عين الصواب وفصل الخطاب:

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ متحدثاً عن الإمام المهدي (ع):

«لما توفي أبوه غاب عن الأنظار، لا أنه دخل في السرداب وأمه تنظر إليه كما توجد هذه العبارة في بعض كتب العامة. وأن الشيعة الإمامية تبرأ من هذه المعتقدات التي يلصقها بهم من أراد الحط من كرامة مذهبهم بما لم تجوِّز له الشريعة الإسلامية»[1].

وقال وهو يتحدث عن السرداب:

«ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة لأن الحجة (ع) غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ، بل لأن بعض الأولياء تشرف بخدمته فيه، وأنه مبيت الثلاثة من الأئمة (ع) وموضع تعبدهم... ولذلك صار من البقاع المتبركة».

«وكان هذا السرداب داخل البيت، وله طريق في البناء القديم من وراء مرقد العسكريين (ع) عند قبر أمِّ القائم... وكان الزائر ينزل في الدرج ويمشي في أزج حتى يدخل السرداب من جهة قبلته. وكان الأمر كذلك إلى حدود عام اثنين ومائتين بعد الألف، فلما تصدى لعمارة هذه البقعة المباركة الملك أحمد خان الدنبلي (من حكام أذربيجان) جعل للسرداب باباً من جهة الشمال وسدَّ باب القبلة... وهو اليوم (أي يوم

(١) تاريخ سامراء: ١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

كتابة هذا الشرح) له عشر درجات مفروشة بالرخام، ينزل الزائر منها إلى رحبةٍ لا يقل طولها عن ثلاثة عشر ذراعاً».

«والباب المشبك الخشبي المنصوب على الصَفَّة في السرداب المقدس في يومنا هذا من الآثار الباقية للإمام المستنصر العباسي، وقد عمله في سنة ست وستمائة ـ وكان العلامة النوري قد ذكر في كشف الأستار... إن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بنور الله من خلفاء العباسية هو الذي أمر بعمارة السرداب ـ. وهذا الخشب من التحف والآثار الثمينة، ولقد مضى عليه إحدى وخمسون وسبعمائة سنة وهو بعدُ جديدٌ كأنه من صنع اليوم»[1].

«ولما رأت سدنة المكان رغبة المؤمنين في زيارة تلك البقعة جعلوا يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه الزائرين بإزاء دراهم معدودة، فأدى ذلك إلى أن حُفِرت تلك البقعة مقدار درجتين. ثم تصدى إلى طمِّها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمه الله. ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسمَّوها بئر صاحب الزمان، فكثرت شكوى الزائرين في عصر آية الله المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي طاب رمسه، فعمل بعض العوام باباً فضياً على حدِّ فم البئر ونصبه عليها، فلم تمر الأيام والليالي حتى سُرِق الباب وعاد الأمر كما كان، وأن آية الله المجدد ـ رحمه الله ـ لم يتمكن من تغيير ذلك إلى أن زالت الدولة العثمانية من العراق. فسعى في طمِّ البئر المولى الحجة الميرزا محمد الطهراني فطمَّها بمعونة الحكومة وفرشها بالرخام الصقيل، ومع ذلك فقد فعل بعضهم ثقباً تحت الرخام ووسطه بمقدار أن تدخل الكف فيه لأخذ التراب، وربما وضعوا التراب فيه من الخارج لإعطائه الزائرين الذين لا

(١) تاريخ سامراء: ١/ ٢٨٨.

يعلمون حقيقة التراب. ونظير هذه المشكلة البئر التي عند الباب الذي يفتح إلى صحن الحجة (ع) غرباً، حيث يزعم عوام الناس أن قطرة من حليب ثدي حكيمة بنت الإمام الجواد (ع) وقعت فيها... ويزدحم العوام على البئر ويأخذون من مائها ويتبركون به، وكان على رأس البئر بعض السدنة يأخذ منهم بعض الدراهم ويعطيهم شربة منه، ولعمري أن هذا من حيل بعض السدنة، وهو جهل مفرط سيطر على بعض الجهال من الزائرين. وقد أشار إلى بعض ما ذكرناه العلامة المحدث الميرزا حسين النوري ـ قدس سره ـ في مزاره المسمى (تحية الزائر) الفارسي المطبوع»[1].

(١) تاريخ سامراء: ١/ ٢٨٨ ـ ٢٩٢.

الملحق الثاني

وكلاء الإمام المهدي (ع) في غيبته الصغرى

كان للإمام المنتظر (ع) في أثناء الغيبة الصغرى أربعة وكلاء، هم: أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد العَمْري؛ الذي نصبه أولاً الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي وكيلاً عنه ثم ابنه أبو محمد الحسن العسكري (ع) فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثم قام بعد ذلك بأمر الوكالة عن صاحب الزمان (ع) فكانت توقيعاته في جواب المسائل تخرج على يديه. والثاني: أبو جعفر محمد بن عثمان. والثالث: أبو القاسم الحسين بن روح. والرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمري، ولما حضرت السمريَّ الوفاة سُئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، وذلك لوقوع الغيبة التامة الكبرى التي لا يلتقي فيها أحد مع الإمام حتى يأذن الله تعالى له بالظهور.

وأجمع المؤرخون على أن أحداً من هؤلاء الأربعة لم يقم بواجب الوكالة والسفارة «إلا بنصٍّ عليه من قبل صاحب الأمر (ع) ونصِّ صاحبه الذي تقدَّم عليه»، كما أجمعوا على أنهم «كانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظَّمين عند سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم، مكرَّمين لظاهر أمانتهم واشتهار عدالتهم»[1].

---

(١) كمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٣٩٣ ـ ٣٩٤ والاحتجاج: ٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥ =

ونورد فيما يأتي لإتمام الفائدة واستكمال البحث موجزاً من تاريخ حياتهم وسيرهم، ليكون القارىء على علم بهم وبما عرفهم الناس به من الثقة والأمانة وصدق الحديث:

الوكيل الأول: عثمان بن سعيد:

أبو عمرو الأسدي، المعروف بـ(العَمْري) نسبةً إلى جده و(العسكري) نسبة إلى عسكر سر من رأى و(السمَّان) و(الزيات) لأنه كان يتَّجر في السَّمن «تغطية على الأمر»، و«كان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد (ع) ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو ذلك فيجعله في جُرُب السَّمن وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد (ع) تقية وخوفاً».

وكان أبو عمرو هذا من أصحاب الإمام علي بن محمد الهادي (ع) ووكلائه، وتولَّى خدمته وصحبته إحدى عشرة سنة، و«له إليه عهد معروف». ثم كان وكيل الإمام الحسن العسكري (ع) من بعد أبيه. ثم أصبح أول سفراء المهدي الثقات الممدوحين في زمن الغيبة الصغرى.

وحدَّث أبو علي أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: «دخلتُ على أبي الحسن علي بن محمد (ع) في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدتُ في كل وقت، فقول مَنْ نقبل وأمْرَ مَنْ نمتثل؟ فقال (ع) لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدَّاه إليكم فعني يؤديه... فلما مضى أبو الحسن (ع) وصلتُ إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري ذات

= وإعلام الورى: ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٠٨ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/ ١٥ و١٠٧ ـ ١٠٨ و٢٠٣ و٣٤٧ ـ ٣٤٨ و٣٦٠.

يوم فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين؛ ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدَّى إليكم فعني يؤديه».

وفي لفظ الشيخ الكليني في روايته هذه عن أحمد بن إسحاق: «سألتُ أبا الحسن الهادي (ع) وقلت: مَنْ أُعامل وعمَّن آخذ وقول مَنْ أقبل؟ فقال: العمري ثقتي، فما أدّى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون»، ثم روى عن أحمد أيضاً عن الإمام العسكري (ع) أنه قال له: «العمري وابنه ثقتان، فما أدَّيا إليك فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطع فإنهما الثقتان المأمونان». وروى الطوسي عن أبي العباس الحميري تفريعاً على هذه الرواية قوله: «فكنا كثيراً مّا نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبي عمرو».

وحدث محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: «دخلنا على أبي محمد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدرٌ خادمه فقال: يا مولاي؛ بالباب قوم شُعثٌ غُبرٌ... قال الحسن (ع) لبدر: فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد (ع): امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال اللَّه واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال. ثم ساقا الحديث إلى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا؛ واللَّه أن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال اللَّه تعالى. قال: نعم؛ واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم».

وروى الطوسي بسنده حديثاً طويلاً عن الإمام العسكري (ع) جاء

في ختامه: «فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه».

وتوفي عثمان بن سعيد ـ كما يبدو من سياق الروايات المعنية بهذا الرجل وابنه محمد ـ بعد وفاة الإمام العسكري (ع) بقليل، ولم تطل مدة وكالته عن الإمام المنتظر (ع)، ودفن ببغداد حيث يحل قبره القائم المعروف حتى اليوم[١].

الوكيل الثاني: محمد بن عثمان؛ أبو جعفر:

قال الشيخ الطوسي: «فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه، بنصٍّ أبي محمد (ع) عليه ونصٍّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم (ع)»، و«الشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن (ع)»، و«كانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته... بالأمر والنهي والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه... فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد ـ رحمه الله ورضي عنه ـ وغسَّله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به، وحصل الأمر كله مردوداً إليه».

ولما توفي عثمان بن سعيد ورد إلى ابنه محمد توقيع من الإمام الثاني عشر (ع) في التعزية بأبيه، جاء فيه:

---

(١) يراجع فيما أوردنا في ترجمة عثمان بن سعيد: الكافي: ١/ ٣٣٠ وغيبة الطوسي: ٢٤٣ و٣٥٤ ـ ٣٥٧ و٣٦٠ وخلاصة الأقوال: ٦٢ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦ ومجمع الرجال: ٤/ ١٣١ ومعجم رجال الحديث: ١١/ ١٢٠ ـ ١٢٢.

«إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضىً بقضائه. عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل. نضَّر الله وجهه، وأقاله عثرته».

«وفي فصلٍ آخر: أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزِئتَ ورُزئنا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسَرَّه الله في منقلبه. وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عز وجل ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه. وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك. أعانك الله وقوَّاك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً وحافظاً (أو: راعياً)، وكافياً ومعيناً».

وجاء في توقيع آخر من الإمام المهدي (ع) إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي بعد وفاة عثمان بن سعيد: «والابن ـ وقاه الله ـ لم يزل ثقتنا في حياة الأب ـ رضي الله عنه وأرضاه ونضَّر وجهه ـ يجري عندنا مجراه ويسد مسدَّه، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانتهِ إلى قوله».

وفي توقيع آخر منه (ع) بخطه جاء فيه: «وأما محمد بن عثمان العمري ـ رضي الله عنه وعن أبيه من قبل ـ فإنه ثقتي، وكتابه كتابي».

وقال الشيخ الطوسي: «كان لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري كتب مصنَّفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن (ع) ومن الصاحب (ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد (ع)، فيها كتب ترجمتها: كتب الأشربة. وقد وصلت هذه الكتب إلى أبي القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ عند الوصية إليه، وكانت في يده».

وتوفي محمد بن عثمان في آخر شهر جمادى الأولى أو آخر جمادى الآخرة، سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، بعد أن تولى الوكالة عن الأئمة (ع) نحواً من خمسين سنة. وقبره ببغداد معروف ماثل يزوره الناس حتى اليوم[1].

الوكيل الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي:

روى الصدوق بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: «لما حضرتْ أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنتُ جالساً عند رأسه أُسائله وأحدِّثه، وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه، فالتفت إليَّ ثم قال: قد أُمِرْتُ أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح. قال: فقمتُ من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولتُ عند رجليه».

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد المدائني قال: «كان من رسمي إذا حملتُ المال الذي في يدي إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري أن أقول له: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمام (ع)... فيقول: نعم للإمام، فيقبضه. فصرتُ إليه آخر عهدي به ومعي أربعمائة دينار، فقلت له على رسمي، فقال لي: امض بها إلى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها أنت مني على الرسم، فردَّ

(١) اقتبسنا ما أوردنا في ترجمة محمد بن عثمان من: كمال الدين: ٢٦٧ و٢٨٠ ـ ٢٨١ وغيبة الطوسي: ٢٩١ و٣٥٧ و٣٥٩ و٣٦١ ـ ٣٦٣ و٣٦٦ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١١٢ والاحتجاج: ٢/ ٥٦٢ وإعلام الورى: ٢/ ٢٥٩ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٨ وخلاصة العلامة: ٧٣ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٩ و٣٥٠ و٣٥٢ ومجمع الرجال: ٧/ ١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ١٦/ ٣٠٩ ـ ٣١٢ والذريعة: ٢/ ١٠٦.

عليَّ كالمنكر لقولي وقال: قم عافاك الله فادفعها إلى الحسين بن روح. فلما رأيت في وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي، فلما بلغت بعض الطريق رجعتُ كالشاكِّ فدققت الباب، فخرج إليَّ الخادم فقال: مَنْ هذا؟، فقلت: أنا فلان... أدخل فاستأْذِنْ لي فإنه لا بد من لقائه، فدخل فعرَّفه خبر رجوعي... فخرج... فقال لي: ما الذي جرَّأك على الرجوع ولِمَ لم تمتثل ما قلته لك؟ فقلت: لم أجسر على ما رسمته لي، فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله فقد أقمتُ أبا القاسم حسين بن روح مقامي وَنصبته منصبي. فقلت: بأمر الإمام؟ فقال: قم عافاك الله كما أقول لك. فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرتُ إلى أبي القاسم ابن روح ـ وهو في دار ضيقة ـ فعرَّفتُه ما جرى، فسُرَّ به وشكر الله عز وجل، ودفعتُ إليه الدنانير، وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك».

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل القمي قال: «كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري ـ رضي الله عنه ـ له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس، وأبو القاسم ابن روح فيهم، وكلهم كانوا أخصَّ به من أبي القاسم... فلما كان وقت مضيّ أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ وقع الاختيار عليه، وكانت الوصية إليه».

وروى أيضاً بسنده عن أبي علي محمد بن همام قال: «إن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري جمعنا قبل موته ـ وكنَّا وجوه الشيعة وشيوخها ـ فقال لنا: إن حدث عليَّ حدثُ الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أُمِرْتُ أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه، وعوِّلوا في أموركم عليه».

وروى أيضاً بسنده عن أحمد بن إبراهيم وأبي جعفر عبد الله بن

إبراهيم وجماعة من أهلهما من بني نوبخت: «أن أبا جعفر العمري لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبد الله بن محمد الكاتب وأبو عبد الله الباقطاني وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله ابن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ فقالوا له: إن حدث أمرٌ فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعوِّلوا عليه في مهماتكم، فبذلك أُمِرْتُ وقد بلَّغتُ».

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قالت: «كان أبو القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ وكيلاً لأبي سنين كثيرة، ينظر في أملاكه، ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به... فحصَّل في أنفس الشيعة محصَّلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر... إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه، فلم يُخْتَلَف في أمره ولم يشكّ فيه أحد».

وكان أبو عبد الله بن غالب ـ وهو حمو أبي الحسن بن أبي الطيب يقول: «ما رأيتُ مَنْ هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح... وكانت العامة أيضاً تعظِّمه».

وحدَّث الطوسي بسنده عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي قال: «قال مشايخنا: كنَّا لا نشك أنه إن كانت كائنة من أمر أبي جعفر لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه، لِمَا رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله، حتى بلغ أنه كان في آخر عمره لا

يأكل طعاماً إلا ما أُصْلِح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسببٍ وقع له... وكان أصحابنا لا يشكون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية به. فلما كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلَّموا ولم ينكروا، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ـ رضي الله عنه ـ، ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري إلى أن مات. فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على أبي جعفر وطعن على الحجة (ع)».

ويستفاد من خلاصة جملةٍ من الروايات أن أبا القاسم الحسين بن روح كان قد خاف من السلطة خلال أيام وكالته فاستتر عن الناس، ونصب أبا جعفر محمد بن علي المعروف بالشلمغاني وكان مستقيماً يومذاك «لم يظهر منه الكفر والإلحاد وكان الناس يقصدونه ويلقونه، لأنه كان صاحب الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح سفيراً بينهم وبينه في حوائجهم ومهماتهم».

وجاء في بعض تلك النصوص: أن الشلمغاني المذكور «كان وجيهاً عند بني بسطام... فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه، وأمرهم بلعنه والبراءة منه»، و«لم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن تولاه ورضي بقوله»، «ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله»، «وكان تاريخ هذا التوقيع في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة...

ثم أمر الخليفة العباسي الراضي بالله بالقبض عليه وقتله، فقُتل في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة».

ويقول الحافظ الذهبي: أن الشلمغاني أبا جعفر لما ادَّعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر وزعم مزاعمه المفسدة للعقيدة والإيمان «أظهر أمره وفضَحه أبو القاسم الحسين بن روح رأس الشيعة الملقب بالباب إلى صاحب الزمان».

وكان الشيخ الطوسي قد روى عن أبي محمد الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمري قال: «لما أنفذ الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح ـ رضي الله عنه ـ التوقيع في لعن ابن أبي العزاقر (الشلمغاني) أنفذه من محبسه في دار المقتدر إلى شيخنا أبي علي بن همام ـ رحمه الله ـ في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وأملاه أبو عليٍّ عليَّ، وعرَّفني أن أبا القاسم ـ رضي الله عنه ـ راجَعَ في ترك إظهاره فإنه في يد القوم وفي حبسهم، فأمِرَ بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن، فتخلص فخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة».

وروى الذهبي: أن ابن أبي طيّ قال في تاريخه متحدثاً عن الحسين بن روح: أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري «نصَّ عليه بالنيابة وجعله من أول مَنْ يدخل... قال: وقد خرج على يديه تواقيع كثيرة، فلما مات أبو جعفر صارت النيابة إلى حسين هذا، فجلس في الدار وحفَّ به الشيعة، فخرج ذكاء الخادم ومعه عكازة ومدرَّج وحقَّة وقال له: إن مولانا قال: إذا دفنني أبو القاسم حسين وجلس فسَلِّمْ إليه هذا. وإذا في الحُقِّ خواتيم الأئمة... وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء والوزراء يركبون إليه والأعيان، وتواصَفَ الناس عقله وفهمه. ولم يزل أبو القاسم وافر الحرمة إلى أن وزر حامد بن العباس، فجرت له معه خطوب يطول شرحها».

وأضاف الذهبي إلى ما تقدم قائلاً: «ثم سرد ابنُ أبي طيّ ترجمته في أوراق، وكيف أُخِذَ وسُجِن خمسة أعوام، وكيف أُطْلِق وقت خلع المقتدر، فلما أعادوه إلى الخلافة شاوروه فيه فقال: دعوه فبخطيَّته أُوذينا».

«وبقيت حرمته على ما كانت إلى أن مات... وكانت الإمامية تبذل له الأموال، وله تلطّف في الذب عنهم؛ وعبارات بليغة تدل على فصاحته وكمال عقله. وكان مفتي الرافضة وقدوتهم، وله جلالة عجيبة».

وتوفي الحسين بن روح ـ رحمه الله ـ في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقبره معلوم بارز في سوق الشورجة ببغداد[1].

الوكيل الرابع: علي بن محمد السمري:

روى الصدوق بسنده عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: «كنتُ بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نُسْختُه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يا علي بن محمد السمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا

(١) رجعنا فيما تقدم من ترجمة الحسين بن روح إلى المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٧٦ ـ ٢٧٧ وغيبة الطوسي: ٣٠٣ و٣٠٧ ـ ٣٠٨ و٣٦٧ و٣٦٩ ـ ٣٧٢ و٣٨٤ و٣٨٦ ـ ٣٨٧ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٢٠ ـ ١١٢١ وإعلام الورى: ٢/ ٢٥٩ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٨ وسير أعلام النبلاء: ١٤/ ٥٦٧ و١٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٤ ولسان الميزان: ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ والوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ وخلاصة العلامة الحلي: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ و٣٥٣ و٣٥٥ و٣٥٧ ـ ٣٥٨ و٣٧١ و٣٧٣ و٣٧٦ و٣٧٧ ومجمع الرجال: ٧/ ١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ٥/ ٢٤٠.

توصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي مَنْ يدَّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفترٍ. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

«قال: فنَسَخْنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: مَنْ وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضي الله عنه».

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني قال: «أوصى الشيخ أبو القاسم ـ رضي الله عنه ـ إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري ـ رضي الله عنه ـ، فقام بما كان إلى أبي القاسم. فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألَتْه عن الموكَّل بعده ومن يقوم مقامه، فلم يُظْهِر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يُؤمَر بأن يوصي إلى أحدٍ بعده في هذا الشأن».

وكانت وفاة السمري ـ رحمه الله ـ في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين أو تسع وعشرين وثلاثمائة. وقبره ببغداد في سوق السراي معروف قائم حتى اليوم[1].

❀ ❀ ❀

(١) اقتبسنا هذه الترجمة من المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٨٤ وغيبة الطوسي: ٣٩٤ ـ ٣٩٦ والاحتجاج: ٢/ ٥٥٦ وإعلام الورى: ٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٢٨ ـ ١١٢٩ وكشف الغمة: ٣/ ٣٣٨ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٦٠ و٣٦٢ ومجمع الرجال: ٧/ ١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ١٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧.

تنبيه:

قد يرى المراجع لبعض المصادر في تحديد مواضع قبور الوكلاء الأربعة المتقدمي الذكر ما يستشف منه الخلاف والتضارب فيما بينها، ومنشأ ذلك ـ كما يعلم المعنيون بالخطط ـ إطلاق أسماء بعض المواضع البغدادية على أماكن في الجانب الشرقي منها وفي الجانب الغربي أيضاً، مما يوقع الالتباس بسبب تشابه تلك الأسماء في تعيين مكان كل قبرٍ منها بدقة ووضوح.

فشارع الميدان الذي ذكرت المصادر وجود قبر عثمان بن سعيد فيه ونصَّ بعضهم على كونه بالجانب الغربي من بغداد؛ هو أحد موارد ذلك اللبس والاشتباه، لأن الميدان كما ذكر الخططيون «اسم لعدة ميادين في الجانبين الشرقي والغربي»، ولذلك نظائر كثيرة في أسماء خطط بغداد كلفظ (القُرَيَّة) الذي كان اسماً لمحلتين فيها إحداهما بالجانب الشرقي والثانية في الجانب الغربي، وكذلك (درب السلسلة) الذي نزله أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ـ رحمه الله ـ وكان اسماً لدربين أحدهما بالجانب الغربي والآخر بالجانب الشرقي بجوار النظامية، وكذلك أيضاً (درب الآجُرَ) الذي كان محلة ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي، وهو غير (درب الآجر) الذي كان بالمحلة الجعفرية بالجانب الشرقي منها[1]. وإلى آخر الأسماء التي جاءت متشابهة في جانبي بغداد فكانت مدعاة لمثل ذلك الخلط والالتباس.

ولما كانت قبور هؤلاء الوكلاء الأربعة موضوع البحث قد توارث معالمها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر، فهي من المسلمات المتلقاة يداً عن يد بالقبول فلا يصح التردد فيها أبداً، ولن

(١) بغداد قديماً وحديثاً: ٣٠٠ و٣١٨ ـ ٣١٩ و٣٢٤.

يصلح تشابه التسميات دليلاً على نفي موضع منها لأنه تشابه ناشىء كما أسلفنا من إطلاق هذه الأسماء على أماكن ومحلات في جانبي بغداد، وبهذا فقدت تلك النصوص دلالتها الصريحة على نفي صحة ما هو قائم تسالم عليه الناس منذ قرون خلت وحتى اليوم.

ملحق الكتاب رسالة الإمام أبي الحسن الهادي (ع) في الرد على (أهل الجبر والتفويض) ١٦٩

الإمام الحسَنُ بن عليٍّ «العسكَريُّ (ع)»

الإمام الحسن بن علي «العسكري» (ع) بين ولادته وإمامته ١٩٢
الإمام الحسن بن علي «العسكري» (ع) بين إمامته وشهادته ٢٠٠
المعتز ٢٠٤
المهتدي ٢٠٤
المعتمد ٢٠٥
تُرَاثُ الإِمَامَةِ ٢٢٢

الإمام مُحَمَّدُ بن الحَسَن «المَهْديّ (عج)»

الإمام مُحَمَّدُ بن الحَسَن «المَهْديّ» (عج) بين ولادته وإمامته ٢٦١
الإمام محمَّد بن الحسن «المَهْديّ» (عج) بين إمامته وغَيْبَتِه ٢٩١
الوجه الأول من أدلة الإمامة: نصُّ أبيه عليه ٢٩٢
الوجه الثاني: النص النبوي على عدد الأئمة ٣٠٠
الوجه الثالث: النص على اسم «المهدي» وغيبته ٣٠٣
الروايات المصرِّحة بكون المهدي من قريش ٣٠٤
المهدي من أولاد عبد المطلب ٣٠٤
المهدي من العترة ٣٠٤
المهدي من أولاد علي (ع) ٣٠٥
المهدي من أولاد فاطمة (ع) ٣٠٦
المهدي من أولاد الحسين (ع) ٣٠٦
المهدي التاسع من ذرية الحسين (ع) ٣٠٧
المهدي ثاني عشر الأوصياء وثاني عشر الأئمة ٣٠٧

المهدي ابن الحسن العسكري (ع) ٣٠٧
الجريدة الأولى: في ذكر بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (ع) ٣١٥
الجريدة الثانية: في ذكر المحدِّثين الذين نصوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرَّحوا بصحتها من غير الشيعة الإمامية .. ٣١٧
غيبة الإمام المهديّ (عج) بين المُثْبِتين والمُنْكِرين ٣٢٤

مُلْحَقا الكتاب

الملحق الأول سرداب الغيبة ٣٤٣
الملحق الثاني وكلاء الإمام المهدي (عج) في غيبته الصغرى ٣٤٨
الوكيل الأول: عثمان بن سعيد ٣٤٩
الوكيل الثاني: محمد بن عثمان أبو جعفر ٣٥١
الوكيل الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي ٣٥٣
الوكيل الرابع: علي بن محمد السمري ٣٥٨
المصادر والمراجع ٣٦٢
المحتويات ٣٧٣